شعر قصي الشيخ عسكر
دراسة موضوعية وفنية

رسالة تقدم بها الطالب

خلدون كاظم هاشم الموسوي

الى مجلس كلية التربية – قسم اللغة العربية - في جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور

صدام فهد طاهر الأسدي

1430هـ 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

((وما أوتيتم من العلم الاّ قليلا))

صدق الله العلي العظيم

سورة الأسراء : آية /85

ا لإ هـد ا ء

الى من ضحى من أجلي بالكثير الكثير أبي ... براً وإحسانا
الى النور الذي يضيء لي الطريق ... ويغرس في نفسي الصبر ...

أمي الطيبة الغالية .

خـلـد ون

شكر وتقدير

بدءاً أتقدم بالشكر لله ربّ العالمين على ما وهبني من صحةٍ في الجسم والعقل والتدبير ، كما أتقدم ببالغ الشكر والتقدير والامتنان إلى استاذي الدكتور المشرف (صدام فهد الأسدي) الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة والذي لم يبخل علي بالنصيحة الطيبة والمشورة الحسنة في إتمام هذا البحث .

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من مدّ إليّ يد العون في إكمال هذا البحث –خصوصاً الأستاذ الفاضل (سعدون جلوب حسين) الذي وقف معي وساندني في إتمام هذا البحث –

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى عمادة كلية التربية وموظفيها إلى رئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة برئيس قسمها الدكتور سالم يعقوب يوسف والأساتذة جميعاً سواء من درسني منهم في مرحلة البكالوريوس أو في مرحلة الماجستير فلهم مني وافر الشكر والتقدير .

وأتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وخاصة من وقف معيٍ في كتابة هذه الرسالة وعلى رأسهم الدكتور (فهد محسن فرحان) .

كذلك وأتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان للشاعر (قصي الشيخ عسكر) الذي وقف معي وساندني بالرغم من بعد المسافة التي بيننا .

وأشكر جميع موظفي مكتبة كليتنا ومكتبة كلية الآداب ، ومكتبة كلية التربية (الجامعة المستنصرية) ، ومكتبة كلية الآداب (جامعة بغداد) ، والمكتبة المركزية في جامعة بغداد ، وأخيراً أتوجه بالشكر والامتنان لأفراد أسرتي الذين وقفوا معي كثيراً فللجميع جزيل الشكر والتقدير .

الباحث

إقـرار الـمشرف

اشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة (**شعر قصي الشيخ عسكر دراسة موضوعية وفنية**) الطالب (**خلدون كاظم هاشم**) جرى تحت اشرافي في كلية التربية / جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

الـتـوقـيـع

أ.م . د
صدام فـهـد طـاهـر الأسـدي
/ /2009

بناءً على التوصيات المتوافرة نرشح هذه الرسالة للمناقشة .

أ. د
أ . م .د
سامـي علـي جبـار
سالـم يـعقـوب يـوسف
رئـيس لـجنـة الـدراسـات الـعلـيـا
رئـيس قـسم الـلـغة الـعربـيـة
/ /2009 / /2009

قـرار لـجنـة الـمنـاقـشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد إننا اطلعنا على رسالة الطالب (**خلـدون كـاظم هاشـم**) الموسومة (**شـعر قصـي الشـيخ عسـكر دراسـة موضـوعية وفنيـة**) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، وهي جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها وبتقدير ( ).

التوقيع :
الأســم :
الدرجة العلمية :
رئيساً

التوقيع :
الأســم : صدام فهد الأسدي
الدرجة العلمية : دكتور / استاذ مساعد
عضواً ومشرفاً

التوقيع :
الأســم :
الدرجة العلمية :
عضواً

التوقيع :
الأســم :
الدرجة العلمية :
عضواً

مصادقة عمادة كلية التربية – جامعة البصرة

التوقيع

المحتويات

ت	أسم الموضوع	رقم الصفحة
1	المقدمة	أ- ب
2	التمهيد (حياة الشاعر ومنابع ثقافته)	1 -13
3	**الباب الأول : الدراسة الموضوعية**	14 -81
4	**الفصل الأول : الغربة والحنين ، الرثاء**	15 -45
5	المبحث الأول : الغربة والحنين	15 - 30
6	المبحث الثاني : الرثاء	31 - 45
7	**الفصل الثاني : انسنة الطبيعة ، أبعاد الصمت ودلالاته**	46- 81
8	المبحث الأول : أنسنة الطبيعة	46 -64
9	المبحث الثاني : أبعاد الصمت ودلالاته	65-81
10	**الباب الثاني : الدراسة الفنية**	82 -151
11	**الفصل الأول : اللغة ، الصورة**	83- 113
12	المبحث الأول : اللغة الشعرية	83 -100
13	المبحث الثاني : الصورة الشعرية	101-113
14	**الفصل الثاني : الموسيقى ، بناء القصيدة**	114-151
15	المبحث الأول : الموسيقى	114-135
16	المبحث الثاني : بناء القصيدة	136-151
17	الخاتمة	152-153
18	المصادر والمراجع	154-163
19	الملخص باللغة الإنكليزية	**ABSTRACT**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أشرف خلق الله محمد (ﷺ) ، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين إلى يوم الدين ، أما بعد ..

يشغل الشاعر (قصي الشيخ عسكر) حيّزاً كبيراً في الدراسات النقدية والأدبية في المهجر وفي الوطن العربي ، ذلك الحيز الذي يمتد من العراق إلى سوريا ولبنان مروراً بالقاهرة وينتهي بعواصم الدول الأوربية باريس ولندن وكوبنهاغين وجنيف ... .

وهو شاعر كبير من شعراء المهجر ، وفي الوقت نفسه أديب من أدباء البصرة ، له روايات كثيرة ، ومجموعات قصصية ، والكثير من المؤلفات في التراث والفكر ، ودراسات نقدية ، وهناك الكثير من الأدباء والنقاد والكتاب والشعراء ممّن كتب عنه وعن نتاجاته الشعرية في الوطن العربي عامّه وفي العراق خاصّه .

أمتاز شعره بالحداثة والإصالة والموضوعية ، عاصر الكثير من الأدباء والشعراء ، كما عاصر جيل الرواد ، فقد عاصر الشاعر الكبير (الجواهري) الذي كانت تربطه بعائلته علاقة وثيقة الذي كثيراً ما كان يلتقي به في سوريا ، وعاصر القاص (محمود عبد الوهاب) الذي أفاض عليه بالكثير الكثير في مسيرة حياتهِ ، وعاصر الشعراء الكبار منهم (بلند الحيدري ، لميعة عباس عمارة ، مصطفى جمال الدين) ، كذلك عاصر الأدبية المبدعة (غادّة السمان) التي كتبت عنه الكثير من المقالات والبحوث عن شعره ، إلى جانب الكثير من الأدباء الكتاب العرب .

ومن ثم فهو شاعر يستحق الدراسة فقد اشتملت قصائده على الكثير من المضامين فهي إذن دراسة موضوعية وفنية في شعرهِ وقد قسمت الدراسة إلى بابين ؛ لأن العنوان أشتمل على ذلك (دراسة موضوعية وفنية) فكان الباب الأول الدراسة الموضوعية في شعرهِ ، وقد قسم إلى فصلين اشتمل كل فصل على مبحثين تناول المبحث الأول (ظاهرة الغربة والحنين) ، يليه المبحث الثاني الذي هو (ظاهرة الرثاء) .

أما الفصل الثاني فقد اشتمل مبحثه الأول على دراسة (ظاهرة أنسنة الطبيعة) ، والمبحث الثاني (ظاهرة الصمت) ومما تجدر الإشارة اليه ان الباحث أعتمد تقسيمه على وفق إنتشار الظاهرة المدروسة وكثافتها في المجاميع الشعرية .

فكانت ظاهرة الغربة والحنين لها الحصة الكبرى ضمن مضامينه الشعرية بسبب غربته عن الوطن والأهل والأحبة طيلة ثلاث وثلاثين سنة تليها ظاهرة الرثاء وهكذا .

أما الباب الثاني فكان الدراسة الفنية ، وتضمن التقسيم نفسه فالفصل الأول اشتمل على مبحثين الأول دراسة (اللغة الشعرية) بوصفها المنطلق الأساس في شعر قصي الشيخ عسكر ، ثم المبحث الثاني الذي تناول دراسة (الصورة الشعرية) .

وتضمن الفصل الثاني في مبحثه الأول دراسة في (موسيقى الشعر) وماشملته من موسيقى خارجية (وزن ، قافية) وموسيقى داخلية (تكرار ، جناس ، طباق) ، أما المبحث الثاني والأخير فقد تناول (بناء القصيدة) ومكوناته من (عنوانات القصائد ، ومستهلاتها ، والوحدة العضوية ، وخاتمة القصائد) .

ولايسعني أخيراً الاّ أن أتقدم بشكري الجزيل الى استاذي الفاضل الدكتور صدام فهد الأسدي على تجشمه عناء متابعة سير البحث وإبدائه الملاحظات القيمة في خصوص هذا الموضوع .

وأنني حين أقدم هذا البحث أعتذر سلفاً عما قد يكون فيه من نقائص وعيوب ، فهذا البحث ثمرة لجهد متواصل وسعي حثيث وقد أفرغت فيه غاية الوسع فإن كان فيه مايحمد فذلك بتوفيق من الله تعالى وتسديده ، والاّ فإن الخطأ ملازم للإنسان لاسيما في تجاربه الأولى والكمال لله وحده ، وأسأل الله أن يوفقنا الى السداد في الرأي إنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

تــمـهـيـد

حياة الشاعر ومنابع ثقافته :

في البصرة الفيحاء أدباء مغيَّبون ومغتربون عن العراق الحبيب ، في البصرة خاصة وفي العراق عامة ، منهم الشاعر والقاص والراوي قصي الشيخ عسكر الذي مازال مغترباً عن وطنه وأرضه مايقارب ثلاث وثلاثين سنة.

ولد (قصي الشيخ عسكر) في 1951/7/13 في أحدى القرى التابعة لمحافظة البصرة تسمى قرية نهر جاسم في قضاء شط العرب .

والده المرحوم (عبد الرؤوف عسكر) وهو أحد القراء الحسينيين وجده الشيخ (عسكر بن حسين مال الله) حيث ينتهي نسبه الى الشيخ الصحابي (حبيب بن مظاهر الأسدي) .

ينحدر (قصي الشيخ عسكر) من أسرةٍ ذات علم ودين ولها ثقلها ومكانتها في المجتمع البصري بشكل خاص والمجتمع العراقي بشكل عام ، حيث أنَّ جده (الشيخ عسكر) كان أول أمام (قائد) للجيش العراقي وله صورة في زيه الرسمي التقطت عام 1924م في مدينة بنجوين[1] .

وعند ولادته هنأ حفيد السيد رضا الهندي والده بقصيدة طويلة من الشعر لأنه أول مولود لوالده بعد خمسة ماتوا قبله .

تربى (قصي الشيخ عسكر) تربية دينية بحته بحكم ثقافة والده الدينية فهو إلى جانب كونه من القرّاء الحسينيين الكبار ، كان يعد من العلماء المتواضعين في البصرة آنذاك وبحكم أجواء البيت الذي تفوح منه رائحة العلم والدين والحياة الهادئة وجمال البساتين ورقة الأشجار وأصوات الطيور المزقزقة عاش المرحلة الأولى من حياته فيها .

وكان منذ صغره محباً للقصص والحكايات الشعبية وسماع الشعر الذي تأثر به وأثر عليه فكانت هذه اللبنة الأولى التي زرعت في نفسه حب القصص والروايات والشعر.

---

(1) الاّ أن الناس في تلك الفترة من الزمن اعتادوا أن ينسبوا العائلة الى المرحوم الشيخ (محمد حسين الدكسن) وهو جد الشيخ عبد الرؤوف عسكر لأمه . (راجع حوله شعراء الغري) الجزء الخاص بحرف الميم .

وقد كان خلال فترة الصبا يكتب القصائد الشعرية التي كان يعرضها على الأستاذ القاص(محمود عبد الوهاب) الذي كان كثيراً مايلتقي به خلال تلك الفترة من الزمن الذي كان يشجعه على كتابة الشعر فكان له دور كبير في صقل موهبته وهو في تلك السنة المبكرة من حياته .

وأستطيع القول : أنَّ طفولته خالية من البؤس والقهر وألم المشاحنات على الرغم من بساطتها وبساطة أجواء الحياة الريفية التي كان يعيشها ، وأن حياته خلال فترة الصبا التي قضاها في قرية نهر جاسم كانت حياة ملؤها أجواء الطبيعة الجميلة والحياة الهادئة والثقافة الدينية التي تأثر بها من خلال معلمه الأول والده ، والتأثر بطيبة الناس وبساطتهم في المجتمع الذي كان يعيشه فيه ، فهذه كلها عوامل بارزة ومهمة انعكست على حياته وثقافته[1].

مراحل حياته الأدبية :

المرحلة الأولى :

كان (قصي الشيخ عسكر) منذ الدراسة الابتدائية حاد الذكاء والفطنة ، وكثير الحفظ، فقد دخل مدرسة التنومة الابتدائية عام (1957م – 1958م) بعد انتقالهم من قرية نهر جاسم الى قضاء شط العرب (التنومة حالياً) وقد التقى في الصف الثالث الابتدائي بالشاعر (أحمد مطر) الذي كان من اعز اصدقائه ، اضافة الى أنه كان رساماً بارعاً ، لكن سرعان ما إنْ انتهت صداقتهما بسبب انتقال الشاعر (أحمد مطر) الى مكان آخر من أجل والده الذي نُقل للعمل في مكان آخر .

أهم شيء في حياته وخلال دراسته الابتدائية أنه حفظ الكثيرمن الشعر الجاهلي فقد قرأ دواوين الشعراء العرب : أمريء القيس ، النابغة ، زهير ، الحارث ، وحفظ كذلك جانباً من خطب الرسول (ص) ونهج البلاغة وخطب الأئمة الأطهار وخطب الصحابة ، وأشعار أبي

(1) لابد أن نذكر أهم حادثة في حياة (قصي الشيخ عسكر) خلال تلك الفترة من الزمن والتي تأثر بها وأثرت عليه وعلى أهل بيته ، هي وفاة خاله الذي كان يُعد كبير ال ربيعة في شط العرب عام 1956م .

تمام ، أبـي فراس الحمداني ، والمتنبـي ، أبـي العـلاء المعري ، البحتري ، شـعر النقائض ، والسياب ، نازك الملائكة ، بلند الحيدري ، بدوي الجبل ، أبي القاسم الشابي .....

كمـا قرأ روايـات كثيرة منهـا روايـة الأم لمكسيم غوركي ، مسرحيات وليم شكسبير الـى جانب كثيرمن قصص الشباب والأطفال وأخبار الأولين مثل (الحطيئة ، والأعشى) .

وهذه كلها عوامل مهمة في حياة الشاعر التي تعد من أهم الثقافات التي أثرت عليه وعلى حياته وهو في بداية الطريق في حياته الأدبية والعلمية .

أما المرحلة الثانية من حياته :

مرحلة الدراسة المتوسطة عام 1963م والتي كانت مرحلة ذات منعطف ثقافي وعلمي وأدبي في حياة الشاعر ، فقد تعرف على أساتذة كبار كانوا يكنّون له كل الاحترام والتقدير منهم الأستاذ (محمد سعيد المصري) الذي كان يعرض عليه بعض الأبيات الشعرية التي كان يكتبها والتي جعلت بينهما علاقة وثيقة فهو يشجعه على كتابة الشعر فكان له دور كبير في حياته وفي تقوية موهبته الأدبية .

أول قصيدة شعرية كتبها قصي الشيخ عسكر (صيحة من كل ثائر) خلال الدراسة المتوسطة عام 1963م.

وخلال انتقاله الى إعدادية العشار تأثر بشخصية مهمة كان لها دور كبير في إعداد وصقل موهبته الأدبية والفكرية والعلمية هي شخصية الأستاذ (محمد جواد جلال) الذي درس على يديه جزء من شرح قطر الندى وألفية ابن مالك ، وشعر المتنبي ، الذي كان يحكي القصص الكثيرة عن الشاعر الكبير (الجواهري) وتجاربه الشعرية ، الذي كان يشجعه على كتابة الشعر فكان هذا له دور كبير على شخصيته وموهبته الشعرية[1].

كما كان يتكلم له عن السياب وعن نزار قباني وكان يقول : أنَّ السياب يحافظ على اللغة وفخامتها أكثر من نزار قباني الذي كانت أكثر صوره شاعرية [2].

---

(1) وفي خلال هذه الفترة من الزمن أصبح والده (عبد الرؤوف عسكر) وكيلاً للمرجع الديني الأمام أبي القاسم الخوئي الموسوي في محافظة البصرة سنة 1963م .

(2) استناداً للاتصال الهاتفي الذي جرى بين الباحث و الشاعر ، أثناء تحضيره لكتابة البحث 2008 .

وكان (البريكان ومحمد راضي جعفر) يعرضان شعرهما على محمد جواد جلال الذي كان بدوره يقدم النصيحة الطيبة لكل واحد منهما .

أمّا عن نتاجاته خلال الدراسة الثانوية فهي : (الشاعر) رواية كتبها متأثراً بما يجري حوله من أحداث تمر بها البلاد خلال تلك الفترة .

ومابين نهاية الدراسة الإعدادية (1966م–1967م) توطدت علاقة طيبة بينه وبين عدد من الأصدقاء منهم من أحتل مساحة وشهرة على الصعيد الأدبي والثقافي والعلمي:

1- الدكتور (صدام فهد الأسدي) الذي كان من أقرب الأصدقاء له ، واليه ترجع تجاربه الشعرية في ذلك الوقت ، فكانا ينقدا بعضهما بعضاً خلال كتابة الشعر بصراحة تامة ومن دون غيض أو غضب ، فكانت هذه الصراحة العفوية التي أينعت ثمارها في المستقبل حيث أصبح كل واحد منهما ذا شأن أدبي مرموق على الصعيد العلمي والأدبي.

2- صباح عطوان : الذي كان يسكن التنومة آنذاك وقبل انتقاله الى بغداد والعمل فيها ، وكان أكبر منه سناً فهو من مواليد 1948م الذي كان من المواظبين على السينما ومن القرّاء الممتازين للكتب الذي كان يتناقش معه كثيراً ، والتحدث اليه عن السينما والمسرح والسياسة والأدب ، وقد عرض عليه كتابه (الشاعر) الذي بدأ بكتابته في الصف السادس الثانوي وأكملهُ في المرحلة الأولى في الجامعة الذي طبعه عام 1973م متأثراً بأجواء المسرح اليوناني .

3- سالم القريني : وهو شاعر وأديب ومثقف محنك لكنه لم يأخذ دوره وحقه عبر الصحافة مع كونه يمتاز بشاعرية رقيقة وأسلوب رشيق وهو بحد ذاته مطلع في مجالات الأدب والتاريخ والدين الذي كان ذا حس عروضي مرهف .

المرحلة الثالثة :

أما المرحلة الثالثة من حياته فهي مرحلة الدراسة الجامعية ، فقد دخل جامعة البصرة (1970م – 1971م) وتخرج منها (1973م – 1974م) وكانت حياته خصبة مليئة بالنشاط الثقافي والأدبي والعلمي .

ففي هذه المدة أسس هو ومن معه من الشعراء منهم (عبد اللطيف الدلكان ، عصام عبود ، فوزي السعد) يوم الأديب الجامعي على الرغم من الصعوبات التي واجهتهم والتحديات ، منها موقف الاتحاد الوطني الذي كان يحاول أن يدرج أي مبادرة تحت أسمه.

وخلال دراسته الجامعية تعرف على اساتذة أجلاء كانوا يكنون له كل الحب والاحترام منهم : –

1–الدكتور زاهد العزي : خريج يوغسلافيا وهو رجل ذو علم ومعرفة كان متسامحا مع طلبته ، طيب القلب وكان يحترم الرأي مهما كان وكان موضوعياً في طرحه للمادة العلمية غير منحاز الى أية فكرة أو جهة ، يبحث دائماً عن الحقيقة بغض النظر عن النتائج السلبية التي يواجهها الباحث .

2– الدكتور حسن البياتي : استاذ مختص من جامعة موسكو في أدب الفترة المظلمة وهو من طرح فكرة غلط التسمية (أدب الفترة المظلمة) ، ذو أخلاق رفيعة له دور كبير ومؤثر على ثقافة الشاعر قصي ، فقد كان على صلة وثيقة وطيبة بوالده الذي يعده من العلماء المتواضعين ، والذي زرع في طلابه الأيمان بالحوار ومبدأ الرأي والرأي الآخر ، وقد التقى به (قصي الشيخ عسكر) عام 1977م قبل خروجه وسفره من العراق مغترباً مهاجراً من بلد الى بلد .

كذلك لابد من أن أذكر أن من الذين تأثر بهم الشاعر قصي المرحوم (علي الخاقاني) الذي كان له الدور الكبير في الوقوف معه وصقل موهبتهِ الأدبية .

وبعد انتقاله من الوطن عام 1977م بسبب الظروف القاهرة التي يعيشها العراق آنذاك .

– حصل على رسالة ماجستير بعنوان (القصص الشعري العراقي) من جامعة دمشق عام 1986م بدرجة الامتياز .

– له اطروحة دكتوراه بعنوان (الأساطير الجاهلية وعلاقتها بالديانات القديمة قبل الأسلام) من جامعة العلوم الإسلامية ، لندن 2005م.

– درس اللغة الإنكليزية في معهد كامبرج في كوبنهاغن لمدة خمس سنوات .

– درس اللغة النماركية في مدارس الدنمارك لمدة ثلاث سنوات .

- وهو الآن يحمل الجنسية الدنماركية .

- نُشر شعره ونتاجاته الأدبية في العديد من المجلات المحلية والعربية مثل (الموسم ، العالم ، الموقف الأدبي السورية ، العربي الكويتية) والأجنبية مثل (جريدة الشرق الأوسط اللندنية ، مجلة البولتكة الدنماركية ، مجلة الاغتراب اللندنية) .

- قبل مغادرته العراق عام 1977م :

1- اشتغل مشرفاً للأقسام الداخلية في جامعة البصرة .

2- أشرف على مجلة الجامعة بتكليف من الدكتور زاهد العزي الذي كان يشغل منصب مدير المركز الثقافي للجامعة .

3- اشتغل بالتدريس مدة سبعة أشهر وبعدها غادر العراق مغترباً ، مهاجراً ، من مكان الى آخر ومن بلد الى آخر عام 1977م.

أما خارج العراق :

1- عمل في المغرب مدرساً للغة العربية وعندما انتهى عقد عمله سافر الى ليبيا وعمل فيها .

2- عُين مدرساً للغة العربية في مدرسة الأمام علي (ع) في منطقة الطبول في سوريا بدمشق .

ولابد من أن نذكر أن الشاعر التقى بالشاعر الكبير الجواهري بدمشق ، الذي كان تربطه بجده علاقة حميمة طيبة فكان يشجعه على كتابة الشعر فكان هذا دافعا قويا للشاعر من شخصية عملاقة في الأدب العربي .

وفي سوريا كان يلتقي بالسيد (مُضر الحلو) وهو صاحب محل لبيع المجوهرات في شارع الأمين ، وكان محله مقصد أكثر الشعراء والأدباء منهم : (مصطفى جمال الدين، الدكتور أحمد الوائلي وبيان جبر) و ...

كذلك سافر الى (مصر ، لبنان ، الكويت ، الأمارات ، سويسرا ، فرنسا ، بريطانيا، اسبانيا ، السويد) .

وقد عمل في أكثر من دولة من هذه الدول التي ذكرتها .

<u>أما نتاجاته الشعرية فهي</u> : -

له خمس مجموعات شعرية هي : –

1– المجموعة الأولى (رؤية) الطبعة الأولى – دمشق / 1983م وعدد القصائد فيها (ست عشرة قصيدة) . وقد كتبت على فترات متباعدة في مناطق مختلفة (البصرة ، بغداد ، الرباط ، جنيف ، الكويت ، دمشق ، لبنان ، براغ) .

وهناك الكثير من الشعراء الكبار من قدَّم لها وأثنى عليها منهم :

- الشاعر الدكتور مصطفى جمال الدين قال: (يمتاز شعر قصي الشيخ عسكر بصفاء اللغة الشعرية ، وتدفق موسيقاها ، ودقة تركيبها .....) [1].
- قول الشاعر بلند الحيدري عن مجموعة رؤية (يمتاز شعر قصي بقدرته على العطاء المتميز بغزارته ، وأنها لسمة لا يمكن للشاعر أن يكبر الاّ من خلالها ، ويمتاز بذاكرة سمعية تطور موسيقى الشعر بصورة متعاظمة) [2].
- الشاعر الدكتور أسعد علي قال : يمتاز بشاعرية تجري كنهر أو كمطر قد يتقطع الجريان أو الانهمار لكنه ... حتى في المتقطع يعد بالبعث بعث الجريان في الأرض ، بعث الانهمار من السماء) [3].

2– المجموعة الثانية : (صيف العطور الخرساء) الطبعة الأولى ، دمشق ، 1985م ، دار مجلة الثقافة ، وعدد القصائد (واحد وعشرون قصيدة) ، وقد أثنى على هذه المجموعة العلامة الكبير الدكتور(عبد الكريم اليافي) من سوريا حين قال : (يُقدِّر قصي صعوبة الفن ومتاهاته ، لذلك فهو متواضع والتواضع ركن الرفعة والعلو ، وهو يمتاز بسليقة شعرية وموهبة أدبية ، وهو يمزج بين أصالة الجواهري وجدّة السياب ليختط منهجاً جديداً وأسلوباً مميزاً لشعرهِ) [4].

---

(1) ينظر ديوان الشاعر (رؤية) الطبعة الأولى /1983 :3 .

(2) ينظر ديوان الشاعر (الشمس والقمر) الطبعة الأولى ، 1992م : 122.

(3) ينظر ديوان الشاعر (رؤية) الطبعة الأولى 1983م : 2.

(4) ينظر ديوان الشاعر (صيف العطور الخرساء) : 49.

3-المجموعة الثالثة : (عبير المرايا) الطبعة الأولى ، دمشق1992م ، وعدد القصائد (مائة وست وعشرون قصيدة) وقد أثنى على هذه المجموعة الشعرية عدد من الشعراء والأدباء منهم : -

- الدكتور مسعود بوبو قال: (إن هذا الديوان هو شهقة شاعر أضناه الاغتراب ورحلة قلب مثقل بالحزن العراقي القديم .... يتلفت في فلوات الله بحثاً عن وطن ، ويعيد في محطات متوالية – قصّ ما بالنفس والقلب والذاكرة من تجليات هذا الوطن المنكوب فيفيض الحزن مرة أخرى وتفوح رائحة الغربة وهي تمشط جدائل نخيل الجنوب) [1].
- وقول الشاعرة لميعة عباس عمارة (أنت شاعر وناقد ياقصي وحضاري متجدد ، من يقرؤك يشعر أنه في باريس او كوبنهاكن وجلسة مع ديوانك هي حميمة يشف فيها البوح الصوفي ويتجلى الشعر والحنين فقط ، أنت انسان فنان بكل أبعاد الفن وربما رسام وموسيقي أيضاً في كل قصيدة ، وشاعر مثلك يصلح ناقداً نثق بحكمهِ) [2].

4- المجموعة الرابعة : (رحلة الشمس والقمر)،الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، 2002م ، دار الأضواء ، عدد القصائد (مائة وست وثلاثون قصيدة) ، وقد كتب الدكتور صدام فهد الأسدي عدة دراسات نقدية في مجموعة (الشمس والقمر) للشاعر (قصي الشيخ عسكر) [3] .

5- له مجموعة شعرية لم تطبع (ترنيمة من زمن التكوين) وهي مقطوعات شعرية .

وقد تكلم الدكتور صدام فهد الأسدي عن هذه المجموعة الشعرية في دراستين الأولى (درس أنسنة الطبيعة الجامدة) ، والثانية (قراءة في توجهات الأنساق) .

---

(1) ينظر : ديوان الشاعر (رحلة الشمس والقمر) : 126.

(2) ينظر : ديوان الشاعر (رحلة الشمس والقمر) الطبعة الأولى ، 2002م : 131.

(3) بحث نشر على شبكة الأنترنت (موقع الناس) .

نتاجاته الروائية

1-(المعبر) : رواية طويلة ، كتبت عام 1976م ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار الجيل للطباعة والنشر، 1985م.

في منتصف الستينات حدثت اضرابات في العراق ، فكانت الأوضاع قلقة ، فهناك في كربلاء تسير المواكب تهتف وفي البصرة يضرب طلبة الحقوق والآداب وخلال العلاقة بين الاثنين (كربلاء – البصرة) صاغ قصي الشيخ عسكر هذه الرواية[1].

2- (سيرة رجل في التحولات الأولى) رواية طويلة ، الطبعة الأولى ، الدنمارك ، 1986م وهي رواية جديدة في تقنياتها الفنية ، جديدة في اسلوب إخراجها وعرضها ، وهي عرض مبتكر وجاد لهموم الكون وفلسفتهِ ضمن أحلام شخص يبحث عن تحقيق ذاته ويحاول الوصول الى هدفه ، أنها رواية ينضوي في تقنيتها الجديدة السرد القصصي ، المسرح ، والشعر ، وهي تشكل منعطفاً حيوياً في مسار الرواية العربية [2].

3- (المكتب) رواية طويلة ، الطبعة الأولى دمشق – دار الحصاد للنشر 1989م . قد لايجد القاريء في هذه الرواية آراء أو أفكار للكاتب الاّ أنه سيجد نفسه أمام كامرا تلفزيونية تتنقل من مكان الى آخر وتظل عدستها مفتوحة لاتغفل عن شيء ، وتقدم أحداث الرواية وكأنها اللحظة التي تقع أمامهُ ، يضحك ، يحزن ، يتأسى ، يتسائل يستنبط الأحكام ، التي ترك الكاتب له أمرها[3].

4- (شيء ما في المستنقع) رواية طويلة ، الطبعة الأولى – دمشق ، 1991م ، مطبعة خالد بن الوليد .

في هذه الرواية تلتقي التيارات الأدبية بتواصل ثقافة (الرومانسية ، الواقعية ، الرمزية، السريالية) والبطل فيها يبحث عن معنى الوجود ، وباختلاط الحلم بالواقع تدور أحداث

---

(1) ينظر : غلاف رواية المعبر .

(2) ينظر : غلاف رواية سيرة رجل في التحولات الأولى .

(3) ينظر : غلاف رواية المكتب .

الرواية ، فنراها قريبة منّا بعيدة عنّا وبعيدة عنا قريبة في الوقت نفسه لتوغل في النهاية بواقع هو حلم وحلم هو واقع[1].

5- (للحمار ذيل واحد لا ذيلان) رواية طويلة كُتبت في كوبنهاغن عام 1988م ، طبعت في بيروت ، دار الحضارة ،1992م.

هذه الرواية مثال للسخرية ، حيث يوازن القاص بين الحمير والبشر غاضباً ويقول : انهم على حد سواء ، ويدّعي في مقدمتها أنه رافض للحرب وهو الدليل القاطع على عجز العقل البشري[2].

6- (المختار) رواية سياسية ، كُتبت في البصرة عام 1979م ، طبعت في دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1993م .

وبصدور هذه الرواية يكون قصي الشيخ عسكر قد أتم المرحلة الواقعية من كتابة الروايات الثلاث (المعبر ، المكتب ، المختار) .

7- (التجربة ، النفق ، الموتى يزحفون) ثلاث روايات من الخيال العلمي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكنوز الأدبية ، 1995م.

8- (آخر رحلة للسندباد ، المنسي ، عزيزي درويش ، البهلول) أربع روايات قصيرة ، الطبعة الأولى ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1995م.

9- (أمرأة بستة أزواج) و (شهريار يهاجر للصمت المباح) روايتان قصيرتان كتبتا في كوبنهاغن عام 1987م ، طبعت في دار الكنوز الأدبية بيروت 1995م .

10- له مجموعة قصصية بعنوان (المعجزة) طبعت بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب ، وقد طبع من هذا الكتاب (1000) نسخة في مطبعة الكواكب بدمشق .

11- آخر ماصدر له (نهر جاسم) رواية طويلة ، من منشورات اتحاد الكتاب المغتربين في الدول الأسكندنافية .

كتبت في كوبنهاغن 1993م ، طبعت في دار الأضواء ، بيروت ، 2004م. وقد تحدثت الأديبة المبدعة (غادة السمان) عن مجمل الأعمال الأدبية لقصي الشيخ عسكر (باختصار تستطيع أن تحب أدب قصي الشيخ عسكر أو لاتحبه لكنك مضطر للاعتراف بتميزه وخصوصيته ،

---

(4) ينظر : غلاف رواية شيء ما في المستنقع .

(1) الكلام للدكتور صدام فهد الأسدي عن رواية للحمار ذيل واحد لاذيلان للشاعر قصي الشيخ عسكر.

وهي سمة تجتذب عادة بعوض الأدب الذي يحاول مص دم المبدعين ليتابع الطنين .....)[1].

نتاجاته في التراث والفكر

1-البلاغة في تعاريف القدماء ، الطبعة الأولى، بيروت 1988م.

2-مفاهيم جمالية في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1990م.

3-مفاهيم اقتصادية في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1990م.

4-الأسلوب القصصي في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، بيروت 1990م.

5-التشبيه والأستعارة في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1990م.

6-الأغتراب في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1990م.

7- الحسن بن وهب ، حياته وشعره ، الطبعة الأولى بيروت ، 1990م.

8-النجاشي ، شاعر صفين ، الطبعة الأولى بيروت ، 1990م.

هناك الكثير ممن كتب عن الشاعر (قصي الشيخ عسكر) وعن نتاجاته الشعرية والروائية والقصصية منهم :-

- (بلند الحيدري ، لميعة عباس عمارة ، مصطفى جمال الدين ، فؤاد التكرلي) من العراق .
- (العلامة الكبير الدكتور عبد الكريم اليافي ، والدكتور أسعد علي ، وعدنان بن ذريل، جان الكسان) من سوريا .
- (الدكتور رياض قاسم، والدكتور مسعود بوبو، والأديبة المبدعة غادة السمان) من لبنان.

وقد ورد اسمه في أكثر من معجم أدبي عربي وأجنبي ، فقد ورد اسمه في معجم البابطين الخاص بالشعراء العرب المعاصرين في القرن التاسع عشر وشعراء القرن العشرين ، المجلد الرابع لسنة 1992م. وقد نُشر فيه ترجمة ذاتية عن الشاعر واربع قصائد شعرية

(1) ينظر : ديوان (رحلة الشمس والقمر) مقال لغادة السمان ، 1990م : 130.

مختارة من مجموعاته الشعرية هي (حلول ، ليالي الرماد ، صهيل الظل ، رحلة الشمس والقمر) [1].

- عمل في التلفزيون مذيعاً ومقدم برامج .
- دعا الى تأسيس اتحاد الكتاب العرب في اسكندنافيا وشمال اوربا .
- يعكف الآن على تاليف أول معجم عربي للاساطير الجاهلية .
- ينشر حالياً في الانترنت في مواقع متعددة منها (الناس ، المثقف ، مركز النور) .

ما كتب عن قصي الشيخ عسكر

1- مقال عن مجموعته الشعرية (رؤية) ، بقلم عبد اللطيف عمران ، نشر في مجلة الثقافة الأسبوعية السورية ، العدد (11) ، لسنة 1987م ، ص2.

2- مقال بعنوان (ديوان رؤية الارتقاء بالصورة) بقلم الأستاذة هدى الصحناوي ، نشر في مجلة الثقافة الأسبوعية السورية ، العدد (13) لسنة 1987م.

3- مقال عن رواية (المعبر) لمحمد مهداوي ، أستاذ في كلية الآداب في الجمهورية الجزائرية ، نشر في مجلة الثقافة الأسبوعية السورية ، العدد (12) لسنة 1987م.

4- مقال (سيرة رجل بين التداعيات النفسية والصور الشعرية) ، لعدنان بن ذريل نُشر في جريدة البعث السورية ، العدد (424) لسنة 1987م، ص12.

5- مقال عن مجموعته القصصية (المعجزة) ، لجان الكسان ، نشر في جريدة البعث السورية ، العدد (7535) لسنة 1987م.

6- مقال (فن الرواية القصيرة عند قصي الشيخ عسكر) نشر في جريدة البعث السورية ، العدد (4798) لسنة 1987م.

---

(1) ينظر :

قصيدة (حلول)من مجموعة (صيف العطور الخرساء) 1985م : 3.

قصيدة (ليالي الرماد)من مجموعة (صيف العطور الخرساء) 1985م : 40.

قصيدة (صهيل الظل)من مجموعة (صيف العطور الخرساء) 1985م : 20.

7- مقال نقدي عن قصة (النهاية) نشر في مجلة الموقف الأدبي السورية ، العدد (190) لسنة 1987م ، ص9.

8- كتب عيسى فتوح مقال بعنوان (قراءة في ديوان رؤية) نشر في جريدة البعث السورية ، العدد (1372) لسنة 1990م.

ما نشر لقصي الشيخ عسكر

1- نشر له معجم البابطين – الخاص بشعراء القرن التاسع عشر وشعراء القرن العشرين- أربع قصائد شعرية من مجموعتيه الشعريتين هما : -

أ- قصيدة (ليالي الرماد) من ديوان (صيف العطور الخرساء) ، 1985م .

ب- قصيدة (حلول) ، 1985م.

ج- قصيدة (صهيل الظل) ، 1985م.

2- نشرت له مجلة العربي الكويتية عدة قصص هي : -

أ- (السلطان) قصة قصيرة العدد (339) لسنة 1987م .

ب- (الغربة) قصة قصيرة العدد (339) لسنة 1987م .

ج- (مدن الضوء) قصة قصيرة العدد (593) لسنة 2008م.

3- نشرت له مجلة بانوراما الدنماركية عدة قصص قصيرة هي : -

أ- (البحث عن زمن آخر) قصة قصيرة العدد (6) لسنة 1995م ، كوبنهاغن .

ب- (الحي الميت) قصة قصيرة العدد (12) لسنة 1996م ، كوبنهاغن .

ج-(الشجرة المضيئة) قصة قصيرة العدد (13) لسنة 1996م ، كوبنهاغن .

4- نشرت له جريدة الشرق الأوسط اللندنية عدة قصص قصيرة هي :-

أ- (زيارة) قصة قصيرة العدد(6610) لسنة 1997م.

ب- (الصمت) قصة قصيرة العدد(6650) لسنة 1997م. وقد نشُرت باللغة الدنماركية في صحيفة (البولتكة) في نفس السنة 1997م.

ج-(المحفظة) قصة قصيرة العدد(6664) لسنة 1997م.

د- (زنزانة) قصة قصيرة العدد(6691) لسنة 1997م.

5- نشر له معجم البابطين الخاص بشعراء القرن التاسع عشر والقرن العشرين :

أ- قصيدة (الشمس والقمر) من مجموعته (رحلة الشمس والقمر) 2002م.

6- (النهاية) قصة قصيرة ، نشرت في مجلة الموقف الأدبي الكويتية ، العدد (386) لسنة 1985م ، ونشرت باللغة الدنماركية في صحيفة البولتكة في نفس السنة .

الباب الأول

الدراسة الموضوعية

المبحث الأول : الغُربة والحنين

توطئة :

نجحت ظاهرة الغربة بوصفها صورة مجسدة لعناء النفس البشرية ، بأن تأخذ دورها في ميدان العمل الفكري ، فبرزت في الأدب (الشعر والنثر) والفن ، مثلما برزت في العلم والفلسفة .

وتجسد الاغتراب في أعمال الأديب والمفكر وهو يشعر بالحزن والحرمان والقهر واغترابه عن كل مايحيط به ، لذا عني الباحثون بدراسة هذه الظاهرة من كل جوانبها ، ودراسة الأسباب التي تؤدي الى الغربة والاغتراب وانعكاساتها على كل مغترب سواءاً كان شاعراً أو مفكراً أو فناناً .

الغُربة لغة :

إن استقراء المصادر اللغوية المتعلقة بمعنى الغربة توضح ارتباطها بمفهوم البعد والنزوح عن الوطن قال ابن منظور :

(الغَربُ : الذهاب والتنحي عن الناس ، وقد غَرَبَ عَنّا يغربُ غرباً ، وغرَّبَ وأغرَبَ وغَرَبةٌ وأغرَبهُ : أي نحاه .

وفي الحديث الشريف ((إن النبي محمد (ρ) أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحْصِن)) وهو نفيه عن بلدهِ .

والغُربة والغرب : النزوح عن الوطن والاغتراب .

والاغتراب : افتعال من الغربة والمُغرَب : أي المُبعد عن بلادهِ أو المبعد في البلاد[1].

(والتغريب : النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه .....) [2].

---

(1) لسان العرب لأبن منظور : 638/1 – 639 ، مادة غرب ، وينظر ابن دريد ، جمهرة اللغة 119/3 ، مكتبة المتنبي بغداد (د . ت).

(2) ينظر : الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الأسلام ، صاحب خليل ابراهيم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 1988م : 14.

إنَّ المصادر اللغوية التي اعتنت بمفهوم الغربة تجد ارتباطاً عميقاً بين ظاهرة الغربة المكانية وهذا المفهوم .

إلاّ أنَّ ذلك لا يعني حصر المعنى اللغوي للغُربة بحالة البعد عن الوطن ، وإنما تتعداه إلى مفهوم شامل ودقيق حينما ترتبط الغربة بالحرمان والعناء والبعد الذي يكتنف الوجدان الإنساني بكل معنى ، فقد يعيش الإنسان في داخل بلده ووطنه لكنه يعاني من الألم والقهر والمعاناة مما يجعله غريباً ومغترباً وهو في داخل وطنه .

والغُربةُ معاناة وألم وحُزن وحنين للوطن والأهل يَستشفها المرء من خلال الأفعال والأقوال وما هي إلاّ انعكاس للواقع المر الذي يعيشه ويحياه سواء أكان ذلك في ابتعاده عن وطنه الذي عاش على أديمهِ ، وتنسم هواءه ، وشرب من عذب مائه ، أو تغذى من عطائه ، أو نأيه عن أهله وعشيرته أو في افتراقه وابتعاده عن أحبته .

ومن اللافت للنظر إن الحنين يرتبط بالغربة ، حيث تتشابك المشاعر والأحاسيس والجوارح التي يصعب الفصل بينها في كثير من الأحيان وخاصة في الشوق والحنين واللهفة إلى الديار وساكنيها في آن واحد ، والحنين يأتي بعد الغربة ولا يكون سابقاً لها ، فالحنين إلى الوطن هو حنين إلى الأرض التي عاش عليها وترك الأهل والأحباب فيها .

الحنين لغة:.

جاء في لسان العرب [1]: الحنين هو الشديد من البكاء والطرب ، و قيل صوت الطرب سواء كان ذلك عن حزن أو فرح.

وجاء في أساس البلاغة[2]:حنَّ إلى وطنه وحنَّ عليه حناناً: ترحم عليهِ .

ومما جاء عن الحنين في الأقوال المأثورة إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل و حُسن عهدهِ ، وكرم أخلاقه ،وطهارة مولدهِ فأنضر لحنينه إلى وطنهِ وتشوقه إلى أخوانه ، وبكائه وبكائه على ما مضى من أزمانهِ[1].

(1) لسان العرب لأبن منظور ت(711 هـ) مادة (حنن) ، ص: 741، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، أعاد تصنيفه على الكلمة والحرف ، يوسف خياط و نديم مرعشي – بيروت ، 1956م ، وينظر المعجم الوسيط ، تأليف الدكتور ابراهيم مدكور ، ج1 +2 ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، استانبول – تركيا .

(2) أساس البلاغة للزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ) ، دار صادر ، بيروت ، 1979م.

وقد أُتخذ الحنين سمة ترمز للوطن ،والشوق للإنسان فامتزجا وصار كلاهما واحداً يعني الوطن وساكنيهِ ويعد ذكر الأطلال ظاهرة مهمة وبارزة لدى شعراء الغربة والحنين ،فقد ارتبطت الأطلال بمواقعها وآثارها بالشعراء ارتباطاً وثيقاً لأنها ترجيع لماضيهم ، وتجديد لإحساسهم وتصوير للحياة العاطفية وذكرياتهم .

وقد رأى ابن قتيبة (إن الشاعر ما ذكر الأطلال إلا ليجعل في ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها) [2] .

وهناك من الباحثين من يرى (أن الطلل هو التعبير عن الانفعال في الحاضر والاتحاد بالماضي البعيد) [3] .

ونجد الحنين إلى المكان يُثير ذكريات الشعراء المؤلمة ممَّا يُفيض بكثرة التساؤلات والاستفهام ولكن دون جدوى ممّا يستدعي الحالة أن تفيض دموعهم بكاءً مراً .

الغربة اصطلاحاً :-

إنَّ الإنسان الذي أصبح صورة من القلق والحرمان والعناء النفسي كان يشعر بالعجز والضعف عن مواجهة الواقع ، ولم يعد باستطاعتهِ أن يتخذ قراراً حاسماً يمكّنهُ الدفاع عن نفسهِ أو الانتصار عليهِ ، بل ضعفت أرادته وضعفت مشاعرهُ لحالة من الحزن والألم والحرمان فبات يدرك الاغتراب في عمق الوجود الذي يحتويه .

أن هذا المعنى البسيط لمصطلح الغُربة نكاد نجدهُ ماثلاً في الوجدان الإنساني الذي يشعر بالحزن والحرمان والقهر .

إلا أن كثرة التحليل والتشخيص لهذه الظاهرة قد تؤدي إلى اختلاف واضح في إعطاء تعريف دقيق لهذا المصطلح ، مّما يساعد في اختلاف مفاهيم هذا المصطلح هو (استعمالهُ من قبل الناس غير المختصين ، وفي المجالات غير العلمية بشكل يغلب عليهِ الطابع الذاتي والعاطفي) [4].

---

(1) مطالع البدور في منازل السرور للغزولي ، علاء الدين بن عبد الله البهائي ، مطبعة ادارة الوطن ، ط1، 1299م.

(2) الشعر والشعراء لأبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط3، 1977م.

(3) الغربة في الشعر الجاهلي ، عبد الرزاق الخشروم، دار الأضواء للطباعة ، دمشق ، 1982م .

(1) ينظر : الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام : 14 .

إلا أننا نجد أن المعنى ألاصطلاحي للغُربة يرتبط بالمعنى اللغوي الذي هو النزوح عن الوطن والتنحي ، وأقوى دليل حديث الرسول (ρ) فعن عبد الله بن مسعود (رض) (ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) [1] .

بمعنى أنه ظهر ببقعة صغيرة في مجتمعٍ كاف واسعٍ ممتد .

وقد تعني الغربة:الابتعاد عن الواقع ، فالوجدان الإنساني عندما يبتعد عن الواقع فأنه لا يفقد القدرة على معرفة حقيقتهِ فحسب ، بل أن انعدام المعرفة يؤدي إلى الانفصال عن ذلك الواقع و الخضوع لحالات الشعور بالاضطهاد و الاغتراب .

فيتحول الإحساس بالغربة إلى نمط آخر يرتبط بانفصال الذات فهو (ناجمٌ بصورة رئيسة عن عجزه عن التوفيق بين طبيعته الإنسانية الخاصة ومسؤوليته عن مثل نظري فيشعر بانفصال بين ذاته الداخلية وبين الدور الذي يقوم بهِ) [2].

وقد تصل حالات الانفصال إلى الغربة عن النفس بحيث نجد أن (هذا المعنى يتميز عن باقي المعاني بكونهِ ينطوي على شعور الفرد بانفصال عن ذاته) [3].

أمّا معنى مفهوم الغربة عند الأُدباء و الفلاسفة فقد أهتم بها أكثر المفكرين و خاصّة التي تحمل نزعات إنسانية عميقة ،لِذا نجد أنّ ظاهرة الغربة التي تُعد من أشد هذهِ الظواهر تعبيراً عن الذات الإنسانية أفلحت في جذب اهتمامهم .

والشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام والعصور التي تلتهُ وحتى في العصر الحديث تكثر فيه نبرات الحزن و الألم و الحرمان التي تدفع الكتاب إلى دراستها وتحليلها مثل كتاب (أدب الغرباء) لأبي الفرج الإصفهاني الذي يقول في (وقد جمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليّ وعرفتهُ وسمعتُ بهِ وشاهدتهُ من أخبار من قال شعراً في غربةٍ ونطق عما بهِ من كربةٍ ،

---

(2) ينظر : صحيح الترمذي ، شرح ابي بكر المالكي ، مطبعة الصاوي ، ط1 ، 1934م ، ج10 ، ص16 ، صحيح مسلم : 90/1 ،ص331– باب ماجاء ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

(3) وليم شكسبير الإنسان المتوحد :98 .

(4) الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً ، أحمد مشاري العدواني ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الأول ، طبعة وزارة الأعلام ، الكويت ، 1979م: 18 .

فكتب بما لقي على الجدران وباح بسرّهِ في كل حانّة وبستان ،إذا كان ذلك قد صار عادةُ الغرباء في كل بلد ومقصد .....) [1].

وإلى جانب ((أدب الغرباء يبرز معجم البلدان لياقوت الحموي الذي لاحظ شوق الشعراء إلى أوطانهم ..... [2])).

وقد برز مفهوم الغربة في دراسات مفكري العالم و فلاسفتهِ ،فقد كان (جان جاك روسو) من الأوائل الذين استعملوا مصطلح الغربة[3] ، ثم جاء هيجل الذي استخدم مفهوم الغربة ..... [4]، ومن بعد هيجل نصل إلى ماركس الذي حدد مفهوم الغُربة ..... [5] .

وقد جاء الوجوديون من بعدهم فهم يرون الغُربة في البعد عن الوجود العميق ..[6] فإذا كانت الغربة في فكر هيجل تدخل في صميم الحياة الإنساني ، وتمثل عند ماركس مجال اغتراب الإنسان عن عمله ، لذلك فإن نيتشه الذي ربط بين الغربة والعدمية قد (فهم إنحلال المجتمع كما لم يفهمه أحد سواه ، فهو يسلم بأن العدمية سمة أساسية من سمات هذا الإنحلال)[7] ، لذا فإن مفهوم الغربة قد ترك بصمات واضحة في العديد من ميادين الفكر والأدب فقد (كان لهُ أثرهُ في كتابات كافكا ، وفي موسيقى شوينبرغ ، وفي إنتاج السرياليين وكثير من التجريديين ومن دعاة الرواية والمسرحية والقصة ، وفي كوميديا صموئيل بيكيت وفي قصائد البيتينكسن الأمريكيتين) [8].

(1) أدب الغرباء لأبي الفرج الأصفهاني /تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد / دار الكتاب الجديد ، بيروت :23 .

(2) قضايا حول الشعر، عبدة بدوي ، ذات السلاسل للطباعة والنشر 1968م : 74 .

(3) ضرورة الفن،أرنست فيشر، ترجمة أسعد حليم ، المطبعة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1971م :105

(4) الاغتراب – عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الأول – أبريل – مايو – يونيو 1979م : 20 .

(5) ينظر ضرورة الفن : 106 .

(6) ينظر عالم المعرفة ، العدد (58) ، أكتوبر 1982 ، الوجودية : 294–295 .

(7) ضرورة الفن : 113 .

(8) قضايا الفن الإبداعي عند دستوفيسكي ، تأليف: م – ن . ياختين ، ترجمة جميل نصيف التكريتي ، مراجعة : حياة شرارة : 112 .

إن الإحساس بالغربة و الحنين للوطن والأهل يتحول إلى البؤس الشامل الذي يظلل الوجود بألوان قاتمة تُشير إلى الحزن والحرمان في كل جوانبه إنَّ الإحساس بالغُربةِ والاغتراب قد يمتلك الملوك والأمراء والأدباء وحتّى البسطاء كما يقول الجاحظ [1].

إذن يمكننا القول :(إنّ الغربة والحنين ظاهرتان إنسانّيتان يمكن تتبعهما بشكلٍ أو بآخر في مختلف النظم والثقافات والمجتمعات ، وحيث وجد أفراد يشعرون بتفردهم وعجزهم عن التجاوب مع الأوضاع السائدة في المجتمع الذي يرتبطون بهِ ، ورفضهم للقيم المتجددة، نجد مفهوم الغربة لم يكن غريباً على مجتمعنا العربي في مختلف عصورهِ ، فالعربي إنسان مرهف يشعر بالاعتزاز لنفسهِ وكرامتهِ ويكره كل ما يمس هذا الإحساس ويخدش هذهِ الكرامة ، وعندما تنتقص الغربة من اعتزازهِ هذا وكرامتهِ فأنهُ يجعلها مرادفه للذل والهوان ، وعندما قيل لأعرابي ما الغبطة ؟ قال : الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان ، وقيل ما الذُل ؟ قال : التنقل في البلدان ، والتنحي عن الأوطان) [2].

ولا يمكننا أن نغفل أن (للمكان دوراً مهماً في صياغة جزئيات الحدث ، مما يعمق جدلية الحياة والموت) [3]، وهذا ما نراه في صورة الإنسان الغريب الوحيد عن وطنه وأهله وعشيرته . ولا يخفى علينا (أن لغة الشاعر المغترب لا تعبر عن مشاعر شخصية معينة بل أنها تعبر عن الروح الجماعية وهي تحمل حالات الحرمان الإنساني بألفاظٍ تراوحت بين غريب وحزين وكئيب وعبارات حزينة وجهت السياق الشعري إلى مأساة واقع مرير) [4].

فلو عرجنا على شعر الشاعر (قصي الشيخ عسكر) المغترب عن الوطن والأهل والأحبة مايقارب ثلاث وثلاثين سنة لوجدنا الحنين والحزن الذي تبطنه عاطفة جياشة صادقة بكل معنى كما يقول في قصيدة (انتظار) [5].

---

(1) ينظر : رسائل الجاحظ ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق ، عبد السلام هرون ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1964م : 63- 64 .

(2) المحاسن والأضداد للجاحظ ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1324 هـ : 78 ويُنظر البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر 1961م:490/1.

(3) اشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة(آفاق عربية) ، ط1 ، 1986م ، بغداد : 222 .

(4) الإنسان والحضارة ليوسف الحوراني ،مطبعة الحيات ،بيروت /لبنان :77.

(1) يُنظر : ديوان رحلة الشمس والقمر : 36-37 .

أيها الصمت الذي يسكبه حزن الديار
كيف يا صخر انتفضت؟
لك أوطان من الأسماء فيها :
رحلت مملكة الحزن ولم تعرف إلى الآن قرار
الصدى والوجد وأستار الظلام
الهوى الغيض وصحراء السنين
أنها أنت فكم جئت وقلبي
حزمة من عنبر تحرق صمتي
فيضيء الحزن قلبي رُغم أنَّ الحزن يكسوه الغبار
لم أُفارقك وإن لم تشترك في الصمت إنّي
كلمّا أودعتُ صمتي في مرايا الليل آنستُ من الصمتِ انحسار
حيثما كنت فقلبي
ينطوي فيك سراباً وانتظار

فغُربة الشاعر واضحةُ المعالم وهي غُربة مكانية يكتنفها الغموض والسراب(الوهم)، وحزن وحنين إلى أرضهِ الطيّبة الطاهرة التي فارقها في ريعان شبابهِ ، وهو في أنتظار متى يعود من غربتهِ وظلمته التي يعيشها والتي عبّر عنها بلفظةّ (الليل) الذي هو دائم الظلام ، فهي إشارة إلى مدى الإحساس بالغُربة والضياع ، وهناك إشارة ثانية من الشاعر وهي دليل على ضياع أيام حياتهِ وشبابه وهو في ديار الغُربة والتي عبر عنها (بصحراء السنين) ، وبالرغم من أنَّ الشاعر في هذهِ القصيدة قد أستحضر الرمز للدلالة على الغربة والحنين وهو قد أجاد فيها بحق ، فصورة (مملكة الحزن ، الظلام ، وصحراء السنين ، صورة الليل الموحش ، والسراب والانتظار) .

كل هذهِ الألفاظ أو الكلمات أراد الشاعر أن يُصَور لنا حياته التي يعيشها خارج بلده وألم الغُربة التي لا تُطاق فهو يبقى في سراب وفي صمت قاتل لهُ في غربتهِ ينتظر العودة في يومٍ من الأيام إلى وطنهِ الذي يراهُ وهماً .

ولابد من الإشارة إلى أنّ هناك بعض الشعراء يظنون أنّ الغُربة قدرٌ كُتب على الإنسان مُنذ ولادتهِ ، وإن هذا القدر سوف يستمر طوال حياتهِ ، وإنهُ لن يستطيع أن يغيرهُ ، ولكنهُ

رغم هذا الاعتقاد وهذا الإحساس بالتغرب والابتعاد عن الوطن والأهل يعلل نفسه ويُمنيها بآمال العودة إليهِ ، وإنّ مارآه من معاناة وقسوة وآلام تُصبح ذكرى خالدة في مخيلتهِ .

ولعل أحرج اللحظات وأقساها على الغريب ، حين يُقابل وجوهاً خارج وطنهِ فلا يرى وجهاً واحداً يعرفهُ ليستطيع أن يطمئن إليهِ ويسكن بهِ روعه وقلقه واضطرابهِ ، يقلب أوجه الناس بنظراتهِ التائهة ، وعندما لا يجد ما يبغيه يجد نفسهُ وقد بدأ يعيش في زمن الضياع وحيداً فريداً غريباً حزيناً ، وهذا ما نجده في شعرهِ من غربة وحنين وإنّ الحنين إلى الوطن يُرافق الشاعر مادام مغترباً ، يذكرهُ بمرابع طفولته ، ومعاهد صباه ولهوه ، وبأرضهِ الجميلة التي قضى فيها جزءاً من حياته ، وأهله وإخوانه وأحبابه ، فيتحسر على تلك المعاهد والديار ويُبكيها بكاءً مّراً ويذكرها كلما هاجت أشجانه فنراهُ يقول في قصيدة (جزر الخيال) [1]:

ظمآن أغترف السراب ولم أمل ... نحو المياه تحاطُ بالأوحالِ

اثنان لم يسعا الفؤاد كآبة ... وجع القصيد وقسوة الأطلال

إلا أنا لاشيء بعد الليل أملكهُ ... سوى وطن من الأسمالِ

يا أيها الحيران خلف ندائه ... مهلاً لقد أسمعت كلّ مجالِ

أمّا في هذهِ القصيدة فالشاعر يتكلم بصورةٍ مباشرة عن مدينتهِ التي عاش فيها مرحلة الطفولة والصِبا وهو يستذكرها بكل ألم وحسرة ويحن إليها وإلى تلك الأيام الهادئة التي عاشها فيها حيث يقول في قصيدة (أغنية إلى نهر جاسم) [2]:

نهر جاسم [3]

حينما الذكرى استفاقت

هوَّمت موجتهُ في أضلعي

تحمل بشرى ونسائم

---

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر : 35-36.

(2) ديوان (عبير المرايا) : 95 – 96 .

(1) نسبه إلى القرية التي عاش فيها مرحلة (الطفولة والصبا) وسميت بهذا الاسم لوجود ضريح لسيد جليل أسمه (سيد جاسم) ولوجود نهر يمر من قرب الضريح فأطلق على القرية (قرية نهر جاسم) تيمناً بهما .

إنها الشمس عرفت الحب فيها
طاوعتني ذات يوم وتعرّت
فنزلنا فيهِ كالدرّ وغصنا
نقطف الأحلام من قعرهِ نهديها النخيل
وبقينا
أنا والشمس أسيرين فلا تعرفنا القرية ولا يدرك مأوانا الهجير
صَغُرت خلف خطانا كلّ أحلام الحقول
غيرانّي بعد أن عدتُ وحيداً
وجثا الخوف على صدري الصغير
لم أجد شمس الطفولة
لم تُعد تتبعني أينما اتجهت
رحتُ كالطفل أُناغي :
سيدي يا ذا الضريح
إنّ أحلامي على بابك تغفو
نهر جاسم
نهر جاسم
أعطني أمس وخُذ عهد الطفولة
علّها ترجعُ أحلامي الجميلة
نهر جاسم
نهر جاسم
قدر الأطفال أن ينسوا الشموس
في مدى لا تدركه منك النحوس
فأعطني الشمس وخذ عهد الطفولة

وفي هذه الأبيات الشعرية يكون كلام (أرنولد) موازياً للحياة الواقعية التي يعيشها شاعر الغربة والحنين حتى يقول: (إنّ الشعر العظيم هو ما يخاطب العواطف الإنسانية الأولية ،

ولغة الشاعر المغترب عن وطنهِ وأهلهِ وأحبائه هي الأشد إتصالاً بحقيقة الواقع وجوهر الحياة لأنها تقترب من الذات الإنسانية عندما تكون أقوى ما يربطهُ بالماضي)[1] .

فالشاعر هنا يستذكر الماضي وحياة الطفولة الهادئة الساكنة التي عاشها في قرية نهر جاسم وهو يرسم لنا صورة جميلة (صورة الشمس) التي هي رمز للخير والنور ، وصورة (النخلة) التي هي رمز للعطاء ، لكنهُ في اللحظة نفسها يأتي لنا بألفاظ متفاوتة لهذا المعنى مثل (مأوانا الهجير، وحيداً ، النحس) فهذهِ كلها تدل على الرحيل والاغتراب والمفارقة والحنين .

ولو أمعنا النظر لوجدنا الشاعر قد عاد واستحضر الماضي من حياته وخاصّه مرحلة الطفولة والصِبا ، ولوجدنا السبب أنها تمثل الصفحة البيضاء الهادئة ، التي نعُم بها بالاستقرار والسكينة في بلدهِ وبين أهلهِ .

والغُربة على أيةِ حال تجربة إنسانية مؤلمة ، وكأس مرّةً مذاقها وتجرع غُصصها كثيرون ، فالشاعر حينما يرحل عن وطنه وأحبائه وقومهِ يشعر بالغربة شعوراً عميقاً ويحسُّ بالحنين لأن الحنين عندهُ لا يعني التشوق للوطن أو الأرض الخالية المقفرة بقدر ما يعني لهُ الوطن : الأرض والعشيرة والأهل ، فنراه يقول في قصيدته (الوميض)[2] :

أين المسير إذا ما عزّ منطلق
أبحرت في نشوتي من أجل لا هدف
الليل أشرعتي والساحل الأفق
فلستُ آخر من ظلوا بغربتهم
حتى احتواني كأني المقعد الطلق
عودي فهذا الدّرب يحصرنا
إنّ الطريق بنا لابد تفترقُ

(1) النقد الموضوعي ، سمير سرحان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،ط2 ، 1990م :72 .
(2) مجموعة رؤية : 15 .

والاغتراب لم يقتصر على من ارتحل عن وطنه وقومه بقدر ما يصيب من أحسس بهِ وهو بين ظهرانيهم ... إنهُ شعور ينطوي بانفصال الفرد عن ذاتهِ وعن مجتمعهِ مما يدفعه إلى القيام بأعمال يرضي بها الآخرين ويجعلهم يشعرون بأنهُ لا فارق بينهم وبينه[1] .

فنرى الشاعر على الرغم من إنهُ يتكلم عن غربته المكانية وهي العنصر المهيمن في مجموعاته الشعرية إلاّ إنهُ يبقى محباً لبلده ثائراً ضد الطغاة حين يقول:

غريب بأرض العراق
ولكنّ عمقي هتاف ينادي :
يموت الطغاة ويحيا العراق
هتاف يغالب من الشقاء
يلوي أكف القضاء
ويخرس صوت القدر
ليرسم لي الحلم المبتكر[2]

وهو في الوقت نفسه يرسم صورة للواقع الذي يعيشه وطنه العراق حين يقول في مطلع قصيدته (وطني)[3]

لم تكن خفقةُ طين عُمرّت نخلاً وماء
وطني أنت نسيجٌ من دماء الشهداء
فعلى مائك تاهت بالمعاني الشعراء
وعلى أرضك هام الوحي خلف الأنبياء

---

(1) الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً ، أحمد مشاري العدواني ، مجلة علم الفكر ، المجلد العشر ، العدد الأول ، طبعة وزارة الأعلام ، الكويت 1979م : 18 .

(2) (غربة) ، ديوان رحلة الشمس والقمر : 88 ، و يمكننا أن نعدها من القصائد الحماسية .

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر : 29 .

والحق إنّ الغربة عن الوطن لمدة طويلة كانت أم قصيرة ، قد صبغت أدبنا العربي بلون ظل متميزاً بها منذ القدم ، فالغربة وما تثيرهُ في النفس من شعور عميق في الحنين إلى الوطن ، وما تتركهُ من معاناة وتمزق وذل وفراق لاتزول هذهِ المسببات إلاّ بإنتهائها لذلك نرى الشاعر يقول:

مدينتي
تنفست لوحدها النعاس
وحينما أبصرتها
تستدرج السكون
قطفت من مواسم الصدى
لأجلها أجنحة الظلام
فحلقت في يقظةٍ بعيدة المدار
وعندها
أدركت إنني الغريب
ولم أعد من عزلتي الأخيرة[1]

فالصورة في هذه الأبيات صورة مباشرة واضحة الأفكار والرؤى التي تحملها ، فالشاعر يتكلم عن مدينتهِ ويقصد بها بلدهِ العراق ، فهو دائماً يستحضر الرمز للدلالة على الغربة والحنين وبالأخص غربته المكانية عن بلدهِ وأهلهِ ، وكل من يقرأ قصائد الشاعر ، يجد المعنى واضحاً أمامهُ من غير غموض ولا تعقيد وخاصّة في القصائد التي يتكلم بها عن حزنهِ وألمهِ لفراقه بلدهِ وأحبتهِ .

فالشاعر يُصّرح بكل ما في نفسهِ وحوارهِ من حزن وحرمان وفراق وهو في بلاد الغُربة حيث يقول في (عودة) :

مضيتُ وحيداً

(2) عبير المرايا : 111 .

وعدتُ غريباً[1]

ويقول في (عبير المرايا) :

لاشيء سيغزو قلبي غير الحزن
لاشيء سيغزو قلبي
غير الصمت[2]

ويقول في (الأفق المرآة) :

أين يحلُّ القلبُ المتعب
بعد الترحال مع النجم
على صفحات الماء
الشوط البعيد
والمأوى لغة
تفهمها العين
ولا يدركها القلب

والليل غريب
كالصمت غريب[3]

يمكننا القول إنَّ الشاعر يتكلم عن نفسه وحزنه لكثرة الترحال والسفر من بلدٍ إلى بلد وهذا هو الواقع المأساوي الذي عاشه الشاعر وقد أشرنا عند استعراضنا لسيرته الشخصية إنه سافر إلى أكثر من (اثنتي عشرة دولة) وهذا ليس بالأمر الهين بالنسبة لشخص أضناه الاغتراب والترحال خلال (ثلاث وثلاثين سنة) .

(1) عبير المرايا : 93 .
(2) المصدر نفسه :99 .
(1) عبير المرايا : 16 – 22 .

أما لو رجعنا الى القسم الثاني من غُربة الشاعر وهي الغربة النفسية لوجدنا هناك الكثير من القصائد التي أشار إليها بما يجول في خلجات نفسهِ وأحاسيسهِ حيث يقول :

مهاجرٌ بصمتك الأريج
إلى همومٍ لونها يموجُ
بالحاضر البهيج
بالأمس مرّ من هنا وغاب
لم يعتنقني مرّة فلم أزل سراب
وكلَّ ما حولي غداً يُبين
إلاّ أنا
أظلُّ وحدي مبحراً
كما يهاجر الأريج[1]

الشاعر يصور لنا همومه وآلامه كأمواج البحر وهي دلالة على التيهان والضياع ، ووهم السراب في الصحراء ، فالشاعر كأنه في هذه الحياة القاسيّة ، ويظل وحيداً مهاجراً مغتربا بكل ما يحمل من آهات وآلام ولابد مِن أن نذكر حقيقة لايمكن طمسها ، أن الغربة النفسية أشد وقعاً ، وأكثر ألماً على قلب الشاعر من الغربة المكانية والسبب لأن الإحساس بالغربة والحنين يكون داخل جوارح الشاعر وقلبهِ وعقلهِ بحيث يُصبح كالأسير المرتهن لا يستطيع فعل أي شيء غيرَ بثّ ما في داخله من أحزان وهموم ...

فلو أمعنا النظر إلى كلام الشاعر في هذهِ القصيدة القصيرة (جموح) حيث يقول :

إلى التيه يحدو العابرين نفورهم
ويبقى غريباً في الشفاه التضرع
حيارى ، حزانى ، لانملّ ضياعنا
ندور . فلا نمشي ولا نحن نرجع
تسائلني : كيف السبيل إلى الهدى؟

(2) قصيدة إليك الحزن أقرب ، ديوان رحلة الشمس والقمر ، وينظر خيمتي ، مجموعة رؤية :7 ، وينظر (رؤية)، المصدر نفسه وينظر قصيدة (شك المصابيح) ، مجموعة (صيف العطور الخرساء) :8 / 20-21 .

عجبت فإني منك يانفس أضيعُ
لئن ضاقت الدُنيا كما ضقتُ بالخطى
فخطوي من الدنيا أعزُّ وأرفعُ[1]

في هذه الأبيات الشعرية تتجسد لنا حالات الضياع والحيرة والتشاؤم التي يمرُّ بها الشاعر ، وهو في قلق دائم وخوف لأنه وحيد ، غريب ، وهو دائم الحيرة والشك وضائع في متاهات الحياة ، لكنهُ رغم كل آلامه وضياعه في هذه الدنيا وجورها عليه ، يبقى صاحبُ عزة وكرامة ورفعة وصاحب مبادئ وعقيدة قوية ، وهي صورة متماسكة الأجزاء ، وهي في الحقيقة انعكاس للواقع الذي يمر به الشاعر ويعيشهُ . يقول:

قيل حزن سوف يغزوك وحيداً
قلت صمتي يستبق
قيل ليل سوف يُرديك قتيلاً
قلت فجرى ينعتق[2]

فهو بالرغم من كل ما يعاني في غربته إلاّ إنهُ متفائل في الحياة يأملُ الخير والأمل وهذا واضح في صورة (الليل والنهار) .

ويقول في قصيدة الترحال[3] :

أنا في مداري الرحب ليلٌ حانقٌ ... خُتمت بهِ الرغبات كلّ مآلِ
يُشجيه أنَّ جروحه مدياتهِ ... سيظلُّ فيها دائم الترحالِ
أسرارهُ : بعض الهواجس حيرةً ... ومآلهُ : التهويم كل مجالِ
يختالُ فيه الحزن رغم سروره ... حتىّ يلَّم جوامح الآمالِ[4]

---

(1) مجموعة رؤية : 40 .
(2) مجموعته الشعرية ترنيمة من زمن التكوين : 7 .
(1) ديوان عبير المرايا : 27 .
(2) المصدر نفسه : 27 .

فهو لا يعرف الراحة ولا الاستقرار ، دائم الترحال ، فهنا بالرغم من أنه يُعاني غربة نفسيه لكنها مبطنة بغربة مكانية والدليل كلامهُ فهو يزاوج بين الغربة النفسية والغربة المكانية في هذهِ القصيدة القصيرة .

فنراه يقول وقد صور لنا سنواته التي قضاها خارج بلدة كالسنبلة التي جفتّ وأصبحت خاوية ، هشة لامعنى لوجودها :

سنواتي : سنبلةٌ جفت
والناطق عني
قربي الحاضر
والمدن المخفية في عيني[1]

ونرى الشاعر يقول ، وهو ضائع فلا الشرق يلفهُ بدفئهِ الحميم ، ولا الاغتراب يُطفئ حرارة قلبه الصادي ، يحارب الهم بالصبر الجميل ، أو بالترحال الدائم من بلدٍ إلى بلد:

لا الشرق من دفئهِ في النار يقذفني
أو يطفئ الحر مني ثلج مغتربي
ما بين جنبي هم لا يطاوله
إلا اصطباري على الترحال والتعب[2]

(3) المصدر نفسه : 60 .

وينظر قصيدة (شئٌ ما) / ديوان رحلة الشمس والقمر 74-75 .

(4) مجموعة (رؤية) : 71-18 .

المبحث الثاني : الرثاء

الرثاء : (لعل أصدق الفنون الشعرية شعوراً ، وأحفلها عاطفة فن الرثاء الصادر من قلب ملتاع ونفس فقدت أثيراً)[1] ، فهو (عاطفة حزن وإعجاب وذكر لحسنات المرثي من خير وشجاعة وكرم وتأبين الموتى بذكر محامدهم وهو يمثل أصدق المشاعر الإنسانية وهي تواجه أعتى ضربات الدهر حين تفارق أعز الناس)[2] ، وهو أكثر فنون الشعر تأثيراً في النفوس وسمتهُ (أن ينبعث عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع حتى يكون عميقاً يهب للأدب قيمتهُ الخالدة)[3] .

وهو أحد فنون الشعر العربي المعروفة ، وهو شعبه من المدح على رأي قدامه بن جعفر[4] ، وهو غرض أساسي من أغراض القصيدة الشعرية ، أتخذهُ الشاعر العربي للتعبير عن أحاسيسه وأحزانه إزاء ما مُني به من صروف الدهر ونكباته بفقد من يعز عليهِ فراقه من الأهل أو الأصدقاء .

وهو الغرض الذي بث الشعراء به ألامهم وأحزانهم لفقد شخصيات عظيمة ، فناحوا عليهم وعددوا من فضائلهم وأحصوا محامدهم وبكوا على فراقهم .

والرثاء فن يصور فجيعة الإنسان وتألمه بفقد عزيز لهُ فهو (مبعث تفكير الإنسان في مأساة الحياة وبيان عجزهِ وضعفه أمام حقيقة الموت)[5] ، وهو من أكثر الموضوعات ارتباطاً بحياة الإنسان لأنه يدور حول الموت الذي هو نهاية حتمية لكل إنسان ، لذلك جاءت المرثية تحمل نظرة إلى الموت وهي نظرة يشوبها الحزن الشديد على فراق الراحلين ، ونستطيع القول أن الموت هو الذي أوجد لنا قصائد الرثاء .

فمن هنا حفلت المراثي التي قالها الشعراء بالخواطر والأفكار الفلسفية حول مشكلة الحياة والموت ، تلك المشكلة التي تزرع الحيرة والقلق والخوف في أعماقهم وتمنحهم

---

(1) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، مجاهد مصطفى بهجت ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد سلسلة الكتب الحديثة ، ط1، 1983م : 28 .

(2) الرثاء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، بشرى الخطيب ، مطبعة الإدارة المحلية بغداد ، 1979م : 5 .

(3) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1973م: 19 .

(4) يُنظر نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، 111–112 والعمدة : 174/2 .

(5) يُنظر الرثاء سلسلة فنون الأدب العربي ، شوقي ضيف : 7 .

النظرة الدقيقة والنافذة إلى تقلبات الدهر وأحوالهِ .

وهذا ما أشار إليه أبن رشيق القيرواني بقوله : (وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة ، مخلوطاً بالتلهف والأسف والحزن والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً أو قائد كبيراً ..) وقول أبن رشيق هذا يقترب من سؤال الأصمعي[1] لرجلٍ إعرابي : (ما بال المراثي أشرفُ أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها وقلوبنا محترقة)[2] .

فيمتدح الشاعر صفات المرثي الفاضلة ويُشيد بفضلهِ ليبقى ذكرهُ طيباً بعد مماته ، فهو ثناء على الميت وتقدير مآثره[3] ، والتعبير عن الفجيعة فيه شعراً[4] .

وقد أقترن الرثاء بألفاظ الندب ، والتأبين ، والنعي والعزاء ، التي تعطي معنى الرثاء أو جزء من معناه ومهما كانت درجة استيعابها لهذهِ المعاني (فإنها كلها تُقال في ظروف الحزن والبكاء عند فقدان أي شخص عزيز يُبكيه الراثي ، ويُعدد حسناته كما يُرثي نفسه لكونهُ فقد إنساناً لهُ هذهِ الأخلاق والفضائل النفسية الرائعة)[5] ، وقد قسم الدكتور شوقي ضيف الرثاء إلى ثلاثة أنواع (ندب ، تأبين ، عزاء) .

الندب : هو ما عبّر بهِ الشاعر عمّا تكنهُ نفسهُ من مشاعر حزينة ، مؤلمة ، نحو قريب[6] قريب[6] تربطهُ بهِ وشائج الدم ، أو صديق تصلهُ بهِ صداقة حميمة أو وطن يصاب بنكبة تزعزع كيانه وتشيع في أرجائه البؤس والشقاء .

أما التأبين : فهو تعداد مآثر الميت ، وامتداح ما كان يتحلى بهِ من خصال حميدة وسجايا نبيلة ، وهو أدنى إلى الثناء فيه إلى الحزن الخالص ، ويُعد التأبين ضرباً من التعاطف والتعاون الاجتماعي .

---

(1) العمدة لأبن رشيف القيرواني : 147/2 ، ويُنظر الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، مصطفى عبد اللطيف جياووك ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1977م .

(2) يُنظر العقد الفريد لأبن عبد ربه الأندلسي : 228/3 .

(3) يُنظر الرثاء (سلسلة فنون الأدب) شوقي ضيف ، ط2 ، دار المعارف مصر ، 1955 : 54 .

(4) الأدب العربي في الأندلس ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت 1976م : 194 .

(5) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، بشرى محمد الخطيب ، أطروحة دكتوراه ، كتاب مطبوع : 20 .

(6) يُنظر الرثاء (سلسلة فنون الأدب العربي) ، الدكتور شوقي ضيف : 5–6 .

وأما العزاء : فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، ويدور على عرض أفكار وإرسال حكم تخفف من وقع المصاب على المفجوع وتحمله على الصبر والتأسي ، إذ أن الموت كأسى يُدار على كل نفس فترشفه .

ويمكننا القول أنَّ الشاعر (قصي الشيخ عسكر) يُجيد الرثاء ويحسن البكاء والعويل ويُعد الحزن لديهِ من أهم ما يميز بهِ رثائه الصادق وهذا ما سنجده في شعره .

وقد برع الشاعر وأجاد في هذا الفن ، إذْ كانت مراثية تفيض لوعة ، وأسى ، فالعاطفة عندهُ ترنيمة حزينة تخفف عن كربته وحزنهِ وغربتهِ ، ولا نبالغ إذا قلنا إنها تصور حزنهِ على نفسهِ وغربتهِ عن أحبتهِ من أهلهِ وأصدقائه[1] ... .

لِذا إنّ باعث حزن الشاعر هو الفراق الذي يولده الموت نتيجة رحيل من عزَّ بهم واصطفاهم لنفسه حتى أصبحوا جزءً منه .

(فقصي الشيخ عسكر) معروف بحبهِ إلى أهلهِ وأقاربهِ وأصدقائهِ فهم عندهُ مثل الجوارح لا يعوّض فقدها ، فهو يفخر بهم في حياتهم ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم وآلامهم ويتوجع لفقدهم .

وأهم من رثا الشاعر (والدهُ) الذي فارقهُ وهو في ديار الغُربة ، بعد ورود نبأ استشهاده على يد قتله كلمة الحق الذين قاموا بإعدامه ورمي جثتهِ في الشارع لأنهُ لم يتنازل عن مبادئهِ وعقيدتهِ ولم يتهاون بقول كلمة الحق أمام الحاكم الجائر [2].

(1) يُنظر سلسلة فنون الأدب العربي : 110 .

(2) الكلام منقول من لسان الشاعر وهو يكتب ذكرياته .

رثاء الأهل : أن رثاء الأهل متفاوت بين الشعراء من حيث حرارة العاطفة والأسلوب وأشهر من رثاهم الشاعر من الأهل (والديه) ، رثا والدهُ بعدة قصائد خصوصاً بعد ورود نبأ وفاته ، فكان له تأثير كبير وحزين ومؤلم على نفسية الشاعر لأنه كان في ديار الغربة ولم يكن حاضراً عند وفاة والدهِ ومعلمهِ الذي أنار له الطريق وجعله لهُ سلماً من أجل العلم والأدب ، فبكاه بكاءاً مريراً تفوح منهُ رائحة الألم والحسرة والحزن العميق الذي لا يهدأ ولا يسكت حين يقول في رثاء والده :

أكبرتُ نعيك أن يكون عويلا فلقد تجسد صدمةً وذهولا
اكبرتهُ فتن الهمــوم رتابة ليحيل من نسق الحياة فصولا
ووعيته حزناً ترقرق في العيون ولم يجد نحو الدموع سبيلا
فنفضت عن حزني غبار تغربي كي أستريح مع الطلول قليلا
لم يوقف الزمن العنيد إرادتي ووقفت أندبُ دمنة وطلولا
ولقد علمــت إذ التفت بأنه سيكون قلبي كالطلول محيلا [1]

فالشاعر قد صُدم وذُهِل ولم يصدق النبأ بأن هذا الشيخ الجليل قد هوى وانتهى ، وفارق الُدنيا والتحق بربهِ وارتاح من همومها ومصائبها ونكباتها ، والشاعر قد ربط بين موت والده وذكر الأطلال وجعلها في صورةٍ واحدة حزينة مؤلمة فهو إلى جانب نعيه وبكاءه على والده الذي فارق الدنيا وفي الوقت نفسه يبكي على الديار التي تركها ورحل عنها ، والأبيات الثلاثة الأخيرة خير دليل لمن يقرأها ويستدل على معاناة الشاعر من أثر الفقد (فقد والدهِ) الذي كان له خير سند وخير معلم في هذه الدنيا .

أما في هذه المقطوعة الشعرية فأنه يتكلم عن والده ويستذكر أيامه هو ورفيق دربه منبر الحسين (ت) الذي لازمه منذ الطفولة واصطفاه خليلاً وهو بحق خير خليل يقول :

أبتاه والذكرى تؤرق مضجعي فأعود من وادي الخيال عليلا
يشكو غيابك منبر رافقته منذ الطفولة فاصطفاك خليلا

(1) يُنظر ديوان الشاعر (عبير المرايا) : 116 .

أعليت من يوم الطفوف مآثراً واجهت فيه غاصباً ودخيلا
ورغبت عن لهو الحديث لمجلسٍ دارست فيه الوحي والتنزيلا
ورددت عن فكرٍ صحيح هجمةً كادت ستجرف للضلالة جيلا[1]

فكلام الشاعر واضح المعنى والمقصد وهو يتكلم عن مسيرة والدهِ الذي لازم المنبر الحق منذ طفولته إلى آخر نفس في حياته وهو معروف في تلك الفترة من الزمن بتقواه وتواضعه فهو إلى جانب كونه من القّراء الحسينيين الكبار خلال تلك الفترة من الزمن فقد كان من العُلماء المتواضعين الأجلاء في البصرة .

فقد كان صاحب فكر وعلم ومبادئ دافع عن الدين بكل ما يحمل من علم ووقف موقفاً واحداً ضد أصحاب الجهل والضلالة الذين أرادوا جرف المجتمع نحو الضلالة والخراب والدمار على الرغم من كل ما واجه من الم وقهر ، وهو معروف قبل وفاته كم مرة ومرة قد سُجن في طوامير الطاغية المتكبر ، فقد أعتقل عدة مرات وسُجن لمبادئهِ وأفكاره وشجاعتهِ في قول كلمة الحق بوجه الطغاة الظلمة حين يقول:

ماكنت ترهب سجنهم وشهودهم مادامت أقوى حجةً ودليلا
ومنافق مهـما نصحت فإنهُ لا يستطيع لطبعهِ تبديلا[2]

فهو على الرغم من كل ما واجه من قهر وسجن إلاّ أنه يبقى صاحب رسالة وصاحب فكر ومبادئ لا يمكن بسهولة أن يخضع وإن يستسلم للطغاة وأهل الضلالة والشقاق .

ويقول : وهو يبث أحزانه وأشجانه إلى قبر والده ما يجول في فكره وخاطره :

أبتاه والذكرى شـجون كلها ماذا أقول وأنت أصدق قيلا
وطني تنازعه الضباب فلا أرى أبداً لمطلع فجـره تأويلا
والأجنبي يبث فينا سـمه ليكون جلّ شبابنا مشلولا
والناس من جشع تصعّد حقدهم ليسرهم أنّ السلام اغتيلا

(1) ديوان عبير المرايا : 114 .

(2) المصدر نفسه : 114 .

والركب يخشى أن يضيع بغربة قد أحبطته شبيبة وكهولا
يصحو على بوم تناغي فجره ويرى إذا رقدت عيونه غولا
أسفي على القٍ تقاصر فجره لكنه وسع العيون ذبولا
يا للفصاحة ضيعّت عنوانها لم ترض غيرك أن يكون بديلا
سأظل من أسفي عليك بعبرةٍ بعثت لقبرك بالرثاء رسولا[1]

فالشاعر يُعبر عمّا يجول في قلبه من ألم وأسى على فقد والده الذي كان صادق القول والفكر ، ويبث أحزانه إلى قبره ليخبره ما الذي حدث لوطنهِ وأهلهِ من نكبات ومنغصات جعلت الضباب يُخيم عليهِ وعلى فجره ، وهو هنا قد أستخدم (الكناية) لإيصال الغرض المقصود من هذا البيت الشعري :

يصحو على بوم تناغي فجره ويرى إذا رقدت عيونه غولا

ليأت بالبيت الذي بعده ويعطفه عليه لكن بصريح العبارة والمعنى في أن الأجنبي يبث فينا حقدهُ وأفكاره الخبيثة المضللة ليشل عقول الشباب الذين هم عمود المجتمع وأساسه ، فهم يحاربون العقول والقلوب لما تحمل من أفكار ومبادئ لبناء مجتمع صالح يعيش أهلهُ بخيرٍ وسلام وأمان .

وأهم ما يُلفت النظر أن الشاعر سيظل من حزنه وبكائهِ في فقد أبيهِ يُرسل الرثاء والبكاء رسولاً إلى قبره بدلالة حرف (السين) التي هي للمستقبل .

ويستمر الشاعر في رثاء والدهِ وهو رثاء يتميز في صفاء اللغة الشعرية ، وصدق الإحساس والعاطفة ، وشدة البكاء والحزن لفقد والده وشدة التأثر بالمصيبة والحادثة يقول :

لمصيبةٍ حلّت فأيسر وقعها أن تستبيح مشاعراً وعقولاً[2]

(1) ديوان عبير المرايا :115 .

(2) يُنظر : المصدر نفسه :118 .

فرثاؤهُ أكثرهُ مدح وفخر وذكر لفضائل الميت لكن بصورة حزينة مؤلمة باكية وتعداد لحسناته ومواقفه في الدفاع عن الدين وإصلاح المجتمع وهو يعتلي المنبر الحسيني طيلة أربعين سنة .

أمّا الجانب الثاني من رثاء الشاعر (قصي الشيخ عسكر) وهو الأشد والأصعب والأكثر إيلاماً على نفسه وقلبه وهو في ديار الغربة والمحنة رثاء أمهِ العزيزة الغالية التي هاجر عنها وتركها في حزنها وألمها لفقدهِ عندما هاجر العراق الحبيب عام 1977م ، ومع مرور الأيام والليالي وبعد وفاة والدهِ بسبب ظُلم الطغاة وتلك المسيرة التي قضاها في خدمة الله ورسولهِ وخدمةِ آل البيت (عليهم السلام) ، حتى جاء خبر وفاة أمهِ فلم يستطع التماسك والاحتمال فبكاها بكاءً مُرّاً ورثاها شعراً تفوح منهُ رائحة ألم فراق الأُم وأيُّ أمٍ هي كلها عطاء وخير وبركة حين يقولُ فيها :

إطلالةُ فجرٍ
أم إطراقة حزنٍ
تمتدُّ إلى قلبي حتى يدركها المأوى
بيني والحزن صباحٌ
لا يعرفه أحدٌ قبلي
ومسافات
لا يقطعها نغمٌ غيري
لكنّ نداوة فجرٍ يا أمي
هامت في عينيك
لتأوي كل مداراتي
قد ناجيتُ الحزن ورائي
ورسمتهُ في همسة فجرٍ
لورود تتفتح بين الأحلام
منذ سنين
والذكرى تطرقني بالصمت[1]

فرثاء الشاعر قصي لأمهِ رثاء فيه رقة وعاطفة جيّاشه وهو رثاء يغلفهُ الحزن والألم والبكاء وهي بعيدة عنه فهو عندما يقول :

إطلالة فجرٍ
أم اطراقة حزن
تمتد إلى قلبي[1]

الشاعر يوحي لنا بأنه يُكلم نفسهُ حين يتذكر وجهها المشرق ليشبهها بإطلالة الفجر أو يرمز لوجهها بإطلالة الفجر الذي هو بداية النور والخير والضياء هذا من جانب ، من جانب آخر نرى الصورة الثانية التي يرسمها الشاعر لنا يرمز لها (بإطراقة الحزن) وهو يُرثيها ويبكي على فراقها من ناحية ومن ناحية أخرى على فقدها وموتها وإن حزنها ليس عابراً أو يمر مرور الكرام وإنما هو حزنٌ عميق في القلب ، فالعاطفة هنا بارزة من خلال صياغة الشاعر وتفننهِ في شعره وهذا ما أشار إليهِ نقاد العرب القدماء والمحدثون منهم والمحدثين في أن (جودة العاطفة قائمٌ على أساس الصياغة الفنية وملاحظة الخلق وشرف المعنى ، وكان عندهم تصور عام لقوة العاطفة من ضعفها ولصدقها من زيفها وخاصة في الغزل والرثاء والمديح) [2].

ومن اللافت للنظر أن العاطفة عند الشاعر تحرك الخيال لديه وتهبه القدرة على رسم صورة قوّية يُعبر بها عمّا يجول في وجدانه من أحاسيس وأفكار ورؤى ، هذا من باب ومن باب آخر نرى أن رثاء الشاعر قصي الشيخ عسكر رثاء صادق الإحاسيس والمشاعر غير مصطنعة ولا زائفة كيف وهو يُرثي أهم شخصيتين في حياته (والديه) ، فالشاعر قد جُرح بفقدهما وخاصة بفقد أُمهِ إذا عرفنا أنه كان متمسكاً بها وبحبها ، فهو عندما يُرثيها يأتي لنا

---

(1) ديوان عبير المرايا : 54 .

(1) ديوان عبير المرايا : 52 .

(2) أُسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد بدوي ، ص767–472 ، القاهرة سنة 1958م ، الطبعة الأولى ، مطبعة نهضة مصر .

بألفاظ قوية ، متماسكة الأجزاء ، وصوت الموسيقى والعاطفة الحزينة الصادقة ، والمعاني الثرة .

فهو يناجي الحزن ، ويستذكر الأيام الخوالي التي عاشها بين أحضان أمهِ ويأتي بالذكرى التي تطرقه بالصمت من أجل رؤية وجه أمهِ الذي يبعث بالنشوة والحياة .

حين يقول فيها :

كانتْ
كل وجوه العالم تعبى
وبوجهي
تغلق بسمتها
وأنا النغم الناعس بالهمسات
لم يبق سوى
وجهك
يؤويني يا أمي[1]

نلاحظ هنا الصورة التي يرسمها الشاعر فهو بالرغم من البعد والغربة والحزن الذي يعيشه من انسداد كل الطرق والمسالك بوجههِ يبقى يحن إلى رؤية وجه والدته ذلك الوجه الذي ملؤه الخير والتفاؤل في الحياة .

ويبقى الشاعر يتذكر ذلك الوجه الذي لطالما كان يرى منه كل الحب والحنان ، فيبقى يستذكره كلما طاب له وقت وكلما أحسَّ أنه بحاجه إلى الرجوع بالزمن من أجل نظرة لوجه أمهِ فنراه يقول في (إطراقة الندى) :

وجهك يا أمي
إطراقة الندى الشفيق
وهمسة الصباح للحقول
تحملني

(1) عبير المرايا : 55.

لعالم جديد

أدخلهُ

مخلفاً

ورائي الأحزان والهموم[1]

فهو يأتي بصورة جميلة رقيقة هادئة ويُضفيها على وجه أمه ، فصورة (الندى ، وهمسة الصباح ، والعالم الجديد) كلها صور توحي لنا بالتفاؤل والخير والعطاء والمحبة فهو عندما يرى وجه أمه ينسى الهموم والأحزان وينسى الماضي الأليم بإطراقة الندى وهمسة الصباح وهو وجه أمه الذي فارقه لسنين وسنين حتى أن فارقت روحها الدنيا وهو بعيدٌ عنها في ديار الغربة .

رثـاء القادة : لم يعرف تاريخ العراق المعاصر شخصية سياسية سمت فوق كل الشبهات كشخصية الزعيم الراحل (عبد الكريم قاسم) ذلك الرجل الذي كان وطنياً شريفاً بحقٍ ، حيث أعطى للعراق ما لم يعطهِ أي سياسي آخر رغم قصر فترة حكمهِ ورغم كل المؤامرات التي حيكت ضده سواء من داخل العراق أم من خارجه ، ويتضح لنا جلياً بأن عبد الكريم قاسم كان يَعدُّ نفسه من عامّة الناس رغم إنهُ يمثل أعلى الهرم للسلطة في العراق ، فقد كان بسيطاً ، متواضعاً ، رقيقاً ، رحيماً مع شعبهِ ، وعنيداً ، قوياً أمام الآخرين .

من خلال هذهِ المُقدمة المتواضعة يتضح لنا بأنّ الشاعر (قصي الشيخ عسكر) لم يكن مأجوراً ، أو طالباً للمال أو كان منتفعاً من حياة الزعيم بل أن الموقف المبدئي حتّم عليه أن يرثي هذهِ الشخصية الفذّة بكل عِفّه وصدق ونُبل وهذا ما يؤكد مصداقية الشاعر في رثاء الزعيم الراحل (عبد الكريم قاسم) .

حيث يقول في رثائه :

ماذا أكتب عنك ؟

يا من آنست الحق رفيقاً

(1) عبير المرايا : 56 .

ورفعت على رأس الجلاد نِعال المظلومين

قالوا عنك شعوبي كافر

والتهمةُ تلصق دوماً بالشرفاء

ما دمت شريفاً

ستكون شعوبياً أو مجنوناً (1)

فهنا تتجلى معاني الرثاء الصادق في أعلى صورها إذ لا تربط الشاعر بالمرثي إلاّ الألفة والمحبة والفكرة والقيِّم والمبادئ ، والشاعر يستفهم ما الذي يكتبه بحق هذه الشخصية العظيمة التي ضحت بالغالي والنفيس من أجل الوطن والقيم ، هذهِ الشخصيّة التي آنست طريق الحقّ وسايرتهُ منذّ الطفولة هذهِ الشخصية التي رفعت صوت المظلومين ووقفت معهم بوجه العُتاة الظلمة ، الذين كُلّ همهم أكلٌ أموال الشعب والتكبر عليهم ، وهو شريف وطني صاحب رسالة وطنية خالية من الزيف والكذب والجبروت وتستمر القصيدة في بثّ مشاعر الحزن الصادقة مشيدة بعظمة المرثي سمواً ورفعةً فيقول الشاعر :

ما دمت تدافع عن حق الإنسان

ولقد كانت بعدك أنباء

تجل منها صفحات التاريخ

إن أسود الكلمات ، ومن شنوا حرب المذياع

باتوا ، والجنرال الأعور يدحرهم ، باتوا

أحقر من جرذان تبحث عن مجرى تدلف فيه(2)

هنا يبرز الشاعر بصدق الإحساس وتصوير الفجيعة شعراً وعلى حد تعبير أحد الباحثين (قد يشتد الحزن في رثاء الشاعر ، لكنه على حزنه يظل نزاعاً إلى المفاخرة بمثل هكذا شخصية ، فهنا يمزج الشاعر بين الرثاء والفخر)(3) .

---

(1) ينظر ديوان الشاعر (رحلة الشمس والقمر) : 88 .

(2) يشير إلى صدام حسين حاكم العراق في العهد المباد

(3) الأدب الجاهلي – قضاياه / أغراضه / أعلامه / فنونه ، د. غازي طليحات وعرفان الأشقر ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ودار الفكر المعاصر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م : 255–256 .

والشاعر في الأبيات الشعرية يستخدم الرمز (الدجال) دلالة على تناقضات الزمن وسيادة الجهل واختفاء الحقائق في هذا العصر ، ولعلهُ كان يرمز إلى حاكم النظام السابق الذي كان سبباً في غربتهِ وبُعدهِ عن بلدهِ ووطنهِ العراق ويستمر الشاعر في رثائهِ الشخصية القائد (عبد الكريم قاسم) فيقول:

عفواً يا ابن المظلومين الشرفاء

لم نقتلك فيوم قتلناك

كنّا نقتل فينا الشرف الثوري

كنّا نمسح من دمنا تيار الأخلاق[1]

فهنا يظهر اعتزاز الشاعر وولاؤه وحبه لشخصية الزعيم وهو رثاء صادق صادرٌ من وجدان الشاعر و ذاته خالٍ من أيّ نفع ذاتي .

رثـاء النفس : كُلّنا نعلم أن رثاء مالك بن الريب لنفسهِ يعد أفجع رثاء وأطول رثاء في الشعر العربي .

إذن رثاء النفس يتجذر من مواجهة الشعراء لحظاتهم الأخيرة فيرثون أنفسهم خائفين من الموت الذي يُمثل الجانب المقابل للحياة ، فإن الحياة قضية تولد الرثاء نتيجة اليأس والملل وكره العيش وعدم القناعة بالحياة ، وبسبب ما يحس بهِ الشاعر من ألم وحزن وقهر في هذهِ الحياة .

فقصي الشيخ عسكر رثى نفسهُ بسبب ما عانى في هذه الحياة من ظلم وألم وحزن على فراق الأهل والأحبة ، وبسبب الغُربة التي لا تطاق ولا تحتمل خاصّة إذا عرفنا كلّ ما مرَّ بهِ الشاعر من آلام حيث يقول :

وينهار المدى خلف الحدود

يضيع كرجفة الحلم السـعيد

فأجثو ثم أكبو ثمَّ أصحو

وبعض الصحو تاريخ الرقود

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 88-90 .

أنا روحٌ من السكنات فرّت

لتاريخٍ تجلى فـــي الجمود

أنا ثقل السكون وليس شكاً

بأن الصمت ناقوس الرّعود[1]

الشاعر هُنا يرثي نفسه بكلِّ وضوح وصدق ، وهو رثاء يغلفه ألم البعد والاغتراب والترحال من مكان إلى آخر طوال ثلاث وثلاثين سنة أو أكثر ، فيمكننا القول إنها خُلاصة لمسيرة الشاعر المغترب عن الأهل والوطن والأحبة وكُلّ ما مرَّ به من آلام ومصائب ومحن فجعلتهُ يبحث عن الحياة لعلهُ ينسى بعض ما في قلبهِ من حزنٍ على فراق كلّ ما هو عزيز وغال عليهِ .

ويستمر الشاعر في رثاء نفسهِ وذاتهِ حين يقول:

حملتك يا جراح ولست أدري أفـي نبضي لنزفٍ من مزيد

بحثتُ عن الخلود بلا توان وحبلُ الشّك مربوط بجـيدي

فعّمرت السّعير بثلج خوفي وأسرجت الشرارة من جمودي

فأورقت المتاهة سيف غدرٍ ليذبحني بمــثواي الجديد

وفي موتي خلاص من أساري ولكن صرت قيداً من قيودي[2]

فالشاعر حمل معهُ جراحهُ وآلامهُ ليبحث عن الطمأنينة والسلام والخلود بلا توان ، إلاّ إنهُ أدرك أخيراً أن راحتهُ وسلامهُ وخلاصه من كل ما ألمَّ بهِ في الموت الذي لا مفرّ منهُ فهو القادر على إعطائه ما يُريد وما يتمنى ، وكأن الشاعر يؤمن بالقدر المكتوب عليه وينطلق من قوله تعالى :

((قُلْ إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس * فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)) [3].

---

(1) يُنظر ديوان الشاعر (رحلة الشمس والقمر) : 98–99 .

(2) المصدر نفسه : 100 .

(3) سورة البقرة :آية 94.

وقوله تعالى : ((كُلَّ نفسٍ ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز)) [1].

لابد أن نشير الى أنه لاتوجد هناك أية مبالغة في الأبيات الشعرية فشاعرنا لايلبث أن يبالغ ليمنح حزنه عمقاً جديداً ، وإحساساً مرهفاً وعاطفة حية صادقة .

وهو لايهدأ ولا يتوقف بل يستمر في رثاء نفسه ورثاء تلك الأيام التي عاشها والتي أصبحت ماضياً منسياً وذكرى لايمكن رجوعها ، وهو يبعث الشكوى اليها بما ألمَّ به من وقع الحياة وقسوتها ، وهو يشكو عمّا يعتلج في نفسهِ بصدق ووضوح ولعل أكثر ماأثر فيه وأشجاه هو رحيل ربيع عمره (الشباب) وهبوب رياح الخريف الصفراء (رياح الكبر) التي أخذت تسقط أوراق حياته لذلك نراه يُرثي نفسه وشبابه الضائع رثاءً حاراً مفعماً بالحسرة والألم حيث يقول :

أشكو لأيام الطفولة أنني ضيعتّها فلقيتهن رحيلا
ما أثقل اللحظات حين نظمها بين الجوانح عبرة وعويلا
فنظل نحتطب الحياة كأن فيـ نا رغبة أن تحرق المجهولا[2]

ويقول :

في غبار السنين أفقد حزني كأنشغالي بلحظةٍ من صفاءِ
أغسل الليل في ينابيع سهدي وحميم الغبار يمسح دائي[3]

فهنا ترجمة صادقة لواقع الشاعر وعالمه النفسي وما يحوم فيه من انفعالات وهموم وأشجان وهواجس سببها مايشعر به من حرمان وإحباط أو الضعف والعجز عن الحصول على أهدافه ورغباته وحاجاته .

إذن يمكننا أن نستنتج بأن رثاء الشاعر (قصي الشيخ عسكر) من خلال مادرسناه في هذا المبحث يتلخص بما يلي : –

---

(4) سورة آل عمران : آية 185.

(1) ديوان الشاعر (عبير المرايا) : :117.

(2) ديوان (رحلة الشمس والقمر) :104 .

– أن رثاء الشاعر في والديه (أمه وأبيه) كان رثاء صادقاً بكل معنى ونابع من قلب مكسور حزين لفراقهما ، ولوفاتهما من دون رؤيتهما فكان هذا مبعث الحزن والبكاء والعزاء لهما وكتابة هذا الشعر في رثائهما ، وهو قد أجاد في ايصال مايجول في خاطره.

– رثاء الشاعر لشخصية سياسية شريفة وطنية بحتة مثل شخصية (عبد الكريم قاسم) كان رثاءً مفعماً بالعاطفة والأحساس الخلاب والمشاعر الصادقة النابعة من حزنٍ عميق لما حدث وجرى عليها من ظلم وقتل لاتستحقها ، ودلالة الأرتباط بالوطنية وحب الوطن.

– رثاء الشاعر لنفسه كان رثاءً مؤلماً وذو عاطفة جياشة وصادقا في كل معانيه وأفكاره التي رسمها الشاعر لنا وهي خلاصة لآلامه ومحنه التي مرت عليه وهو في ديار العزلة والغربة ونتيجة للحرمان والقلق وفقد الأحبة والقدوة بالنسبة له رثى نفسه رثاءً صادقاً ليس متكلفاً وبلغة شعرية صافية من كل الشوائب التي قد نجدها عند بعض الشعراء ، وبأفكار واضحة الدلالة والمعنى المقصود التي أراد الشاعر إيصاله الى المتلقي . والشاعر لم يبالغ في رثاء نفسه إذا عرفنا كلّ مامر به خلال حياته ومسيرته الطويلة في ديار المنفى .

المبحث الأول : أنسنة الطبيعة

يعد (قصي الشيخ عسكر) من الشعراء الذين وظفوا الطبيعة وعناصرها للأغراض الشعرية فنجد إن وصف الطبيعة يكاد أن يكون السمة البارزة لشعر الشاعر .

فهو يحاكيها كشخصيات حيّة وإن مفرداتها (الطبيعة الصامتة والحية) بمثابة العائلة التي ينتمي اليها الشاعر ، وهو الذي أوجد علاقة الأنسنة بين الطبيعة و الشاعر كإنسان لذلك (يعد شعر وصف الطبيعة من أوسع الأبواب الأدبية انطلاقاً وأكثرها شمولاً، فهو رأس الأغراض الشعرية ومصدر فنونها ، لذلك نجد هذا الغرض ممزوجاً بالأغراض الشعرية الأخرى ، فالغزل وصف للحبيبة ، والمدح وصف للخصال الحميدة ، ....) [1].

(لذلك تفاعل الشعراء بها حتى امتزجت بعروقهم وخالطت بشاشتها روحهم الشاعرة ، فكانت الطبيعة من حولهم ديوان شعر مفتوح ينظمون منه الألفاظ ، ويتعلمون منه الأوزان ، فلا يخطئون الصواب) [2]، فهو من الشعراء الذين لجأوا الى الطبيعة بكل مافيها يناجيها ويحاكيها همومه وآلامه .

و(شعر الطبيعة من المصطلحات الحديثة التي دخلت الأدب العربي عن طريق الآداب الأجنبية ، علماً بأن وجوده في الآداب العربية لم يتعد نهاية القرن التاسع عشر، وتعني الطبيعة : الحي ماخلا الأنسان كالطيور والحيوانات كما تعني الصامت كالنباتات والجبال والبحار وأمثالها) [3]، وهو قد جسد الطبيعة بشقيها (الحي والجامد) في شعره وهذا دليل على براعة الشاعر في محاكاتها وتجسيدها وتصويرها .

و(شعر الطبيعة أخذ مكانته البارزة في القصيدة العربية ورمز الى كثير من الأوضاع النفسية التي كان الشاعر يعيشها) [4] ، وهذا ماوجدناه عند دراستنا لشعر قصي الشيخ عسكر بحيث أن الوضع النفسي كان له دور كبير في لجوء الشاعر الى الطبيعة بكل مفاتنها .

---

(1) الأدب العربي ، د. عناد غزوان و د. نوري حمودي القيسي و د. فائق مخلص ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد ، ط2، 1968م : 58 .

(2) قضايا أندلسية ، بدير متولي ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1964م : 144.

(3) شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل ، مطبعة مصر ، ط1، 1945م :4 .

(4) الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي ، دار الارشاد ،بيروت ، 1960م : 11 .

وبما إن (الشعر بوصفه فن الكلمة كما يقول الفيلسوف الألماني هيجل) [1]، فقد وجد في الإحساس بالوجود ومظاهرة الميدان الأرحب للرسم بالكلمات مما اتاح للشاعر المبدع ان يبعث بشعورهِ نحو المتلقي مجسداً تجربتهُ ، وقد تفاوت الشعراء على مر العصور في مدى استيعابهم للطبيعة وصوغ تجاربهم الوجدانية حيالها .

فالطبيعة كانت بكل مافيها الينبوع الذي يغرف منهُ الشاعر، فلقد أحبها بكل جوارحهِ، فأصبحت ملهمتهُ في كل ما كتب او ليست الطبيعة ملهمة الفن كما يقال .

و(قصي الشيخ عسكر) لجأ الى الطبيعة لينسى آلامه وأحزانهُ والغربة التي يعانيها، وهو لم يلتجيء الى الطبيعة هرباً ... بل قد وظّف الطبيعة بكل مظاهرها لخدمة هدفهِ وإيصال فكرتهِ وبوح مافي القلب من آهات وآلام .

فالشاعر يشخص الطبيعة ويجسمها ليجعلها إنساناً يحاوره ويبثه كل مافي نفسه المتعبة القلقة المشبعة بالآلام سائراً في ذلك على طريق الرومانسيين الذين (كثيراً ماتكون الطبيعة ملجأ نفوسهم القلقة ، لذا فهم يفرون اليها)[2].

فهو يهب الوجود بما يمثلهُ من طبيعة إنسانية الإنسان بأعمق مدياتها ، ويحولها من مادية الى معنوية تبحر الى أعماقهِ ، وهو في هذا يواكب الشعراء الذين (يلقون على الطبيعة الساكنة مشاعرهم فإذا هي شاخصة) [3].

ولعل من وظائف الشعر الأولى هي أنسنة الطبيعة بالكلمات[4]، والشاعر أنسن الطبيعة بشقيها (الجامد والمتحرك) ونسبة الطبيعة الجامدة أو الصامتة هي الأكثر في هذا المضمار ، فقد جعل منها إنساناً يخاطبه ويناغيه ويبثه كل مايعتري نفسه من غربة وألم وفراق وحنين الى الوطن والأهل ، وهو يثق بها ويحاكيها كل مافي نفسه المتعبة وهو يُضفي على الطبيعة سمات الإنسان بكل معنى ، من الإحساس ، والأمان ، والثقة ، والراحة والاطمئنان ، والتأمل ،والشكوى .

---

(1) ينظر : فن الشعر ، هيجل ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان : 7 .

(2) في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي ، ط3، دار المعارف ، القاهرة 1960م : 124 ، وينظر : اتجاهات الشعر العربي الحديث ، حاتم الساعدي ، ط1مطبعة ستارة ، 1420هـ :60.

(3) الصورة في شعر الأخطل الصغير ، أحمد مطلوب ، دار الفكر ، عمان ،1985م :1231.

(4) ينظر : المعنى والكلمات ، سعيد الغانمي (الموسوعة الصغيرة) ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد 1989م : 90.

والشاعر ما لجأ الى الطبيعة وشخّصها وخاطبها الاّ بعد أن يئس وعجز من مخاطبة الأنسان فأنزاح نحوها وجعلها إنساناً يشكوه همومه وآلامه ، (متخذاً من أنسنة الطبيعة طريقاً لتحرر ذاته واستقلالها ومن ثم تحققها) [1]،واجداً نفسه وأمله فيها ومايبحث عنه ويبتغيه ، وهي خصلة ليست بجديدة على الشعراء بل تمتد جذورها الى العصر الجاهلي ، فـ (قد وجد العربي ذاته في الطبيعة منذ العصر الجاهلي إذاْ كانت أمه الروؤم التي تآلف معها حد الاندماج بها)[2].

وقد ندرك ابداع الشاعر يتراءى في سهولة الفاظه، ودقة تصويره وروعة تشبيهاته، وقوة تشخيصه وتجسيمه للطبيعة ،وبراعته في محاكاتها .

وهو شعر يتميز بالرقة والعذوبة في أغلب الأحيان ،خالٍ من الألفاظ الغريبة والمعقدة ، بل نجد السهولة والجزالة واضحة في شعرهِ .وقد كتب الدكتور صدام فهد الأسدي مقالاً حول (أنسنة الطبيعة الجامدة في شعر قصي الشيخ عسكر) دراسة لديوان (رحلة الشمس والقمر) ذكر فيه (أن الرمز عند الشاعر يخترق جماليات اللغة المقننة بطاقات تعبير متقنة ، والرمز من أكثر وسائل الشاعر تنوعاً ، وهو فنان في رصف الرموز وأكثرها رموز الطبيعة الجامدة ، وله دور كبير في جماليات الوصف (وصف الطبيعة) ، وهو أحياناً يستخدم التضخيم لقلقه الدائم) [3].

يقول :

سيدتي
أنا – كما ادعت عيناك
رسالة الأحزان لسنين
أدركت أني قادم إليك
فلم أزل مبعثراً

(1) ينظر أنسنة الشعر ، مدخل الى حداثة أخرى ، فوزي كريم أنموذجاً ، حسن ناظم ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2006م : 11.

(2) قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث ، ضياء راضي الثامري (رسالة ماجستير) كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 1991 م: 82.

(3) مقال نشر على شبكة الأنترنت ، مواقع (الناس ، المثقف) ،2008 .

كالليل عند ملتقى القرون
ولم تزل
تلمني عيناك
في لحظةٍ عميقة القرار
وقبل أن تخلعني الرياح
رايت فيك صحوتي
فكيف لي أن أدرك المدار[1]

الشاعر هنا أعطى صورة واضحة لغربة الزمن التي يمر بها ، حين يقول : (رسالة الأحزان للسنين) ، مع وجود صورة تشبيهية واضحة الدلالة بوصف الليل له .

وهو يثير تساؤلات ويتخذ من الطبيعة رمزاً جنى عليه بالخلع والاندثار والنفي ، لكنه يبقى متشبثاً بالارتباط بالأرض لكنها عزيزة عليه توحي له بالكثير من الذكريات ، ودلالة الرياح عند الشاعر هي إشارة الى السلطة الحاكمة في العهد المباد بدلالة قرينة الخلع التي وظفها الشاعر فأحسن توظيفها وهو هنا يخاطب فكراً أو مجتمعاً أو قضية لها علاقة به وهو قد شخّص العين في رسم صورة جاءت على هيأة الاستعارة التخيلية في فكر الشاعر ، ولابد أن نذكر ان النص كما هو واضح من قراءته أن الشاعر قد خلط في رسم هذه الصورة بين الرمز والتشخيص ، وهذا الاندماج كوّن في النص صورة تتراوح بين عنف الفكرة وبساطة الصورة ، ونجد هذا الاندماج واضحاً في سياقاته (أنا كما ادعت عيناك) و(تلمني عيناك) و(تخلعني الرياح) وهو في كل هذه الصور يقدم تشخيصهُ بأسلوب التي أنسنت العين والرياح .

ونراه يقول في (رحلة الشمس والقمر) :

ظمأي لون تاه بصحراء الماس سنيناً
بسحيق الجمر تشبث دهراً وتوارى
خلف حجاب الحرقة أضحى[2]

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر ، (غرابة الأطوار) : 11.

فهو يرسم صورة قاتمة محيرة للطبيعة الصامتة حيث تنبثق من هذه الصورة دلالة تراسل الحواس التي يرمز اليها إذ يصف الظمأ ويعطيه لوناً حيث لايوجد للظمأ لون وهو يضفيه على (صحراء الماس سنينا) ، وهي اشارة منه الى ضياع حياته وأيام شبابه .

ويقول :

النسيان سفير الرّوح الى الماضي
وأنا أدخل في رغوة هذا الزمن المحفور بذاكرتي
أذكر أني قابلت البحر فناداني لؤلوه
حتى كاد أسمي ينساني
أعطاني قمرُ الحوت سماءً
قصرت عنها الأعين شبرا[1]

حيث يغدو النسيان سفيراً لروح الشاعر ، وهو يطلق جناحيه الى مدى جديد ، ويكاد ينسى أسمه ، بين مقالب هذا الزمان فهو يجسد البحر شخصاً ومن خلاله يفرغ شحنات أوجاعه وآلامه وهو قد شخّص اللولؤ وجعل منه إنساناً يناديه أو يتحدث معه أو يخاطبه ، فهو يصرح بما يجول في خاطره ويبدو النسيان من أهم مايذكره الشاعر وهو سمه من سمات الإنسان ، فهو مصدر قلق لدى الشاعر .

ونراه يقول أيضاً :

قابلت الرمل وحيداً
فأبى المحل
وقابلت البحر وحيداً
فابى الليل
وقابلت الريح وحيداً
فتشظيت لأكثر مني

(2) المصدر نفسه : 17.

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 18.

هدهد أفكاري قال
سآتيك بما لن يأتي في رمشة عين
قلقي يلبس أشكالاً تتوحد في الكون
وعيني وفاتنتي
أقواس قزح ، الماء ، الحب ، العهد ، الوعد ، الرقة والعنف ،
العالم حولي مختوم بالصبّار
والرمل قماط الصحراء (1)

وتأتي مقابلته ثانياً للرمل حيث يجسده شخصاً ، بحيث تتشظى مفردات الطبيعة (الليل ، الرمل ،البحر) وكلها دلالات لطبيعة جامدة ولكنها في روئ الشاعر تتحرك بديلاً عن الأنسان ، فهو يصور لنا محاوره ذات رؤيا خاصة بين الشاعر وبين مفردات الطبيعة الصامتة ، وما نجده هنا أن الشاعر يربط أفكاره وما يجول في خاطره مع هدهد سليمان (ع) وهو مقتبس من القرآن الكريم ((**وَتَفَقَّد الطَّير فقالَ ماليَ لا أرى الهُدهد أم كان من الغائبين**)) [سورة النمل / آية (20)] ، ليوحي لنا بما يجول في فكره هو وما يريد أن يوصله لنا وغايتهُ في كل هذا ، والشاعر يضفي على قلقهِ اشكالاً والواناً وهذا نتيجة الغربة والقلق والحرمان النفسي الذي يعانيه وهنا صورة واضحة للصوفية عند الشاعر وهذا كله مرتبط بحالتهِ ونفسيتهِ ومدى الأحساس بالألم .

فمن الرموز التي ذكرها لنا (الماء) ، والماء في نظر أكثر الشعراء المحدثين يأخذ بعداً شجياً ، قلقاً ، يختلف من شاعر الى آخر باختلاف خصوصية الرؤية وطبيعة التكوين النفسي والانفعالي لكل شاعر بعد أن قرر نا أن الشاعرالحديث أصبح يتعامل مع أشيائه وموضوعاته بأتخاذ نقطة انطلاق يبحر من خلالها الى أعماق ذاته مستكشفاً مايعتمل فيها من مشاعر وما يتلاقح من صور ليعود ثانية ملقياً بما يراه وما يلمسهُ في ذاتهِ على الأشياء من حولهِ في عملية كشف وإشراق في ذات الشاعر من حزن وألم .

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 20-21.

فنراه يقول في قصيدة (من وصايا صوفي مغمور) :

ندمي منزلتي
والضوء يحاصرني
كالصحراء ، كأشواك الغيرة ، كالليل يحاصرني
فأنا آتيك إذا لم أترك ندمي
وأرى الضوء يحاصرني وحدي
أنفيك وتنفيني
لكنك تؤوي غيري فيك وتؤويني[1]

الشاعر هنا يعطي صورة لافتة للنظر للضوء ، وهو يتكلم عن ذاته ووحدته ، وكما هو معروف أنَّ الضوء رحمة ونعمة لكن لدى الشاعر الضوء يحاصره هو وحده ، وهو ينظر اليه نظرة تشاؤمية صوفية ، ويشبهه (بالصحراء ، والأشواك ، والليل) وهي كلها رموز استخدمها الشاعر ليعطينا صورة مليئة بالسراب(الوهم) ، والظلمة ، والضياع ، وهو في كل هذا يشيرالى مدى الألم والحزن الذي عاناه ومازال يعانيه وهو في تلك الديار. ويقول :

قمر عاكفٌ ونجم تهاوى
وصباح أسير قيد المحال
لغة الخوف أن نسير نهاراً
فلك الليل عالم الترحال[2]

يبدو أن (الخوف) والنظرة السوداوية التي انغرست في قلب الشاعر لأسباب يجهلها بدأ يعكسها على الطبيعة وخصوصاً الصامتة فلايوجد قمرٌ عاكف الاّ بمفهوم الشاعر أي أن الشاعر هو المعتكف وهو الذي تهاوى كالنجم وليس النجم ولم يكن الصباح أسيراً بل إنه

(1) مجموعة (صيف العطور الخرساء) : 34 – 35 .

(2) ديوان رؤية (خفاش) : 37.

رمز للنشاط والنور الساطع بعد الظلام الحالك ، ولانستطيع أن نقول أن الطبيعة قد تغيرت لكن الشاعر هو الذي تغير ،فالتناقض والتضاد هو الشاعر نفسه .

ويقول في (أحاديث القلب) :

كالنهر
يسيل القلب
ولم يخرج عن مجراه
قلبي
ينساب وحيداً حزيناً[1]

فهو لم تتغير حياته ، فحياته رتيبة باقية على حالها كمياه النهر فهي تنساب دون صوت ولا أنيس ، فهو لم يجد مايفرحه وكأنه صديقٌ مقيمٌ للحزن والشجن ورفيق دائماً لليأس ، يسير في طريق موحش لانديم له سوى الغربة تلازمهُ والآلام.

ويقول :

أيها الصبح الذي يجري وراء العاصفة
سئمت منك قرون وقرون
قد قرأناك بدنيانا دموعاً زائفة
وعرفناك هموماً وظنون[2]

فالشاعر ينتظر زوال الغمة والعودة الى الحياة التي يحلم بها بعد ان كان الليل يستوطنها ، فهو يتمنى عودة الصبح اليه لكنه صبح زائف فمازال مثقلاً بالهموم والظنون ومازالت الدموع تذرف دون مقابل أو وعد وأمل بعودة الحياة ، والشاعر هنا أنسن الفعل (يجري) ، وأنسن (الصباح) وجعله يجري كالإنسان ويقول:

كل الملاحم تنجلي في قطرةٍ وأراك بحراً دائم الهيجان

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 34.

(2) ديوان عبير المرايا) : 110.

فالماء يجذبني لأنزع سرّه وأصوغ منه دقائقاً وثواني
والنار في نبضي أشد جذورها للماء إذْ تعلو على الخفقان[1]

فقد مرت بالشاعر أحداث جسيمة عصيبة جعلته الى درجة يصف كل الملاحم الكبرى تنجلي وتتسرب في قطرة ماء ،بينما يرى بالمقابل مشكلتهُ التي يعاني منها بحراً عصياً دائم الهيجان فهو يثير مقابلة بين القطرة والبحر على الرغم من أنها جزء من البحر ، فهو يضخم الأمور والأشياء خاصة التي تتعلق به هو ، وهو يتمنى أن يغوص في أعماق الحدث الذي يعتبره كالماء لكي يعرف أسراره ولو في دقائق ولحظات قليلة عابرة، ولربما يقصد بأنهُ يكتفي بلقاء عابر ويكتفي بنظرة من هذا الحدث ، وبالرغم من أن الشاعر يشبه دماءه كالنار الملتهبة في نبضهِ وعروقه التي تحتاج الى الماء رغم وجوده في الماء نفسه ، ورغم حرارة النار وقسوتها فأن قلب الشاعر مازال قادراً على الخفقان والحياة بالرغم من كل مايواجهه في حياته .

ويقول:

والليل يجرفني ليكشف قسوتي فأحيد عنه وما فقدت مكاني
والريح تنثرني وكنت نشيجها فأدق في صخر الصدى الحاني
موتي هي اللحظات لولا خفقة جاشت بها الجمرات تحت دخان[2]

في هذه الأبيات صراع بين الشاعر والليل ، وكما هو معروف ان دلالة الليل بشكل عام عند الشاعر مصدر تكالب الأحزان والآهات والآلام وذرف الدموع ، فهو يحاول دائماً الهرب من ماضيه لكن الليل يجبره للتعلق بذلك الماضي الكئيب ، وهو يبدو ضعيفاً دائماً وكأنه نديم الليل نفسه ، كذلك الشاعر رغم حبه للريح فهي قد نثرت أحلامه بحيث لا نديم له الاّ صداه ، ورغم ذلك يتشبث الشاعر يخيط الأمل الذي يشبهه بجمرةٍ كانت تحت الركام .

(1) ديوان (صيف العطور الخرساء) : 3 –4 .

(2) المصدر نفسه : 5– 6.

مما ورد في هذه الأبيات الشعرية نستنتج أن الشاعر في حيرةً من أمره وهو في ضياعٍ دائم بسبب الغربة أو فقدان الهوية فهو قد استحضر (الليل ، الريح) وهي من أحدى المكونات التي مازال يبحث عنها الطبيعة الصامتة وأضفى عليها سمات الشخوص الحية فحاكاها وكأنها تسمع وتصغي لما يريد أن يقوله ويفعله .

ونراه يقول في قصيدة (انقسامات):

النور يقطر من كفي فأنثره في التيه ساقية والقلب نيرانا
والريح لوني،وكف الضوء يخنقها فأقلب الكون أنّى شئت ألوانا
والنار في أضلعي بالماء أنسجها للشمس إذ غرقت في البحر أكفانا
إن كنت قاتلتي فالبحر ينقذني أو كنت منقذتي فالوقت ماحانا [1]

يبدو أن الغموض الذي يلف نفسية الشاعر وشخصيته والتناقض الذي يبدو من سمات شخصيته قد انعكس على القصيدة ، فعندما نحلل أبيات القصيدة تكتنفنا الحيرة بسبب التضاد في المعنى والألغاز في التفسيرات مما ينعكس على الوضع النفسي للشاعر نفسه ، الذي يعيش حياته والمنعكس في تضادات القصيدة نفسها بين الأمل واليأس ، والحب والكره ، والحياة والموت ، فهو كالبحر لاتستطيع أن تحل الغازهِ الاّ بعد أن تغوص في أعماقه .

وهذا كله بسبب الأنطواء والعزلة وكأن الطبيعة ومكوناتها حولها الى مجتمع وكأنها ربيب للشاعر ، فهي نديم له ، تقبلت كل أفكاره وكل مايجول في خلجات نفسه المتعبة ، الطبيعة هنا هي نفسها الوطن بالنسبة اليه ، فهو يثير مقابلة يكتنفها الغموض بين (الريح لوني ، وكف الضوء) و (النار والماء) وهذا كله بسبب تقلبات حياته وأيام شبابه وما يعتري نفسه من هواجس وأفكار جعلت كل هذا ينعكس على شعره .

فكل هذا أدى الى الضبابية والسوداوية لدى الشاعر والتي أدت في نهاية المطاف الى العزلة والانطواء .

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 12.

أما لو نظرنا الى مايقوله في قصيدة (شجر الريح) ، فنجده قائلاً :

القمر الغائب مرآة الأرض
نبصرُ فيها
عن بعدٍ
أوجهنا
أصغر منّا
فإذا غادرناه أنقلبت
أعيننا
كالشجر المثقل بالريح
فنرى
أوجهنا
أنساماً ناعسة
تبحث عن مأوى
تجهله الأرض[1]

يقصد الشاعر بالقمرالوطن الغائب في الغربة والحاضر في القلب ، وبسبب اللوعة والحزن ومرارة الفراق أوجهنا هي أحلامنا أصبحت صغيرة ومضمحلة بسبب البعد الزماني والمكاني عن الأرض (الوطن) وعن الناس (الأهل والأحبة) وإن كنا بينهم ، لأن الناس في الغربة ليسوا أناسنا .

وأن من يغادر وطنه يصبح جريح القلب ، كثير الهموم ، يشبه الشجرة التي تنحني أمام الريح ، وتنكسر من شدة الثقل ،ثقل التفكير والقلق أحياناً ، وهنا الطبيعة في هيجانها وغضبها تشبه بيئة الإنسان التي تعصف رياح الفقر واللوعة والحرمان فيها .

(1) ديوان عبير المرايا :50 .

ومهما يحاول الأنسان الغريب البحث عن مأوى أو أرض يسكنها يبقى صدى الوطن يؤجج مشاعر الشاعر كالناقوس الذي يدق في قلبه فهو دائماً يشعر بأنه بلا وطن ولا عنوان، دائم الترحال وكأنه يدور في فلك النسيان والسراب .

ويقول:

راودني عشق يقبع في نفسي
راودني ذاك العشق لأخلع نفسي من كل الأشياء
لافصل ولاحد ،أنا العاشق يا ليل ،وفي احترق لؤلؤة الأوقات
مازالت تشكوني
تشكو ظمأي
حبك يا ليل كشوف الصحراء يسارع أن ينسخني
إحدى المرات ظلاماً
والأخرى نوراً
ما بينهما تتقاطع أعتى الصبوات
الفجر تجلى أحلاماً
والصخرعيوناً
والأشجار سياط
أشكال لا تألفها عين من قبل
يوم أضعتك يا ليل ويا صحراء
كان العالم ينزف من حولي إيلافاً مختلفاً
سميتهُ
أشواق الروح أو أشواك القلب
فمتى ألقاك لألقى نفسي !! [1]

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر ، قصيده (ياليل) : 26-27 .

فهو يُجسد الطبيعة الصامتة في شعره وكأنها شخوص حيّه يُناجيها ويحاكيها همومه ، والليل هو المظلة التي تمنح الشاعر الأمان والهدوء والسكينة ، وأحياناً يُثير الليل فيه اللوعة والحزن والشجن وذكريات الصبا ومهد الطفولة والحنين للوطن ، والشاعر قد خلط في أنسنته هنا بين المادي والمعنوي ، تمثل المادي بالصيغة الصامتة في ألفاظ (الصحراء ، الليل ، الفجر) ، أما المعنوي فتمثل (بالعالم ، الروح) وكأنه في صراع أبدي مع الغربة ، فهو يتمنى أن يلقى الوطن الذي غدا كالوهم لديه ليلقى نفسه التائهة المتعبة المحمّلة بكل أنواع الألم ، وفي البيت الأخير يبرز السياق الرمزي إلى الوطن الذي يحن إليه الشاعر بعد فراق طويل وما زال إلى الآن .

أمّا في هذهِ المقطوعة فيقول:

مرعوباً
يتلوى كان البحر
والغيمة تمطرهُ بالقبلات
أي مكان يخفيه ؟
هل يجعل من قلبي مأواه حين سيطويه الجدب ؟
أم
هل يهرب للأعين حين ستؤيه الأحزان ؟ [1]

هنا وصلت النظرة السوداوية لدى الشاعر نهايتها بأن يصف البحر الذي هو مصدر خوف للأخرين بأنهُ مرعوبٌ ، فنسأل أنفسنا سؤالاً هل يوجد تشاؤم أكثر من هذا؟

وكيف للشاعر أن يأوي مرعوباً والمعروف أن المرعوب لايأوي مرعوباً ، ومما يزيد المأساة أن الشاعر يطرح سؤالاً غير منطقي كيف للأعين أن تأوي الأحزان فأنهما ضدان لايجتمعان أبداً ؟ والصداقة بينهما هي الدمع فقط .

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر / (البحر) :61-62 .

والوسيلة بغض النظر عن استعارة الشاعر لعناصر الطبيعة فهو مفضوح هنا لأنه يصف نفسه بهذا الوصف وهذا دليل قوي على ما يمر به الشاعر من أزمات نفسية واجتماعية مؤلمة .

ويقول :

ونزعتُ عن ثقل السنين ملامحي فتحررتُ من محنة الآفاق
ووقفتُ أختصر الظلام لعلني آنست ناراً عذبةُ الإحراق
فإلى متى أُخفي الضباب بخافقي حتى تظل الشمس في إشراقِ
وإلى متى أُنفي السراب حقيقةً والماء طيفُ ضاق بالأحداقِ
إني نسجتُ من السكون ملاحماً للمتعبين : الليل والأشواقِ[1]

على ما يبدو أنّ الشاعر كثير الهموم ، متعبٌ من ثقل السنين التي غيّرت ملامح الوجه والقلب ، إلى درجة كان يتمنى أن يتحرر من القيود التي أوصدت قلبه المكلوم فهو في هذهِ الأبيات يبدو حائراً ضائعاً بين ظلام السنين ونار الهجير ولا ندري أيّ هجر ، أهو هجر الحبيب أم هجر الوطن أم هجر الأهل والأحبة وهو يتساءل إلى متى يتحمل الهموم وحدهُ مثل شمعة تحترق لكي تضيء الطريق للآخرين ويبدو لنا هذا الأمر جلياً حيث اقتبس من القرآن الكريم قوله تعالى ((**إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهاب قبسٍ لعلكم تصطلون**))[2] ، وكذلك الشاعر يتمنى أن يتحول سرابه الفكري والوجداني إلى العقلانية ووضوح الأشياء التي ابتعد عنها كثيراً ، ولا ندري كيف يمكن للشاعر أن ينسج من الصمت والسكون هدياً وملاذاً للمتعبين بالرغم من ظلام الليل والأشواق ووحشة الطريق ولوعة الأشواق هذا من جانب ، ومن جانب آخر ربما تتفتح من خلال هذهِ الأبيات ثورة يحس بها المتلقي وهو يتابع (أنا) الشاعر وهي تحاول أن تحرر من واقعها المعاش ، ولعل ما يدل على ذلك من سياقاته في هذا المقام أو النص قوله (اختصر الظلام ، ونزعت عن ثقل السنين ، إلى متى أُخفي الضباب بخافقي) وكذلك ما يمثله اعترافه بالتقاعس والخضوع والخنوع لواقعهِ في بيته الأخير(إني نسجتُ

(1) ديوان عبير المرايا :6 .

(2) سورة النمل / آية 7 .

من السكون ملاحماً) دليل على سوداوية حياته .

ويقول في هذهِ المقطوعة :

في الغسق احتملت
خاطرتي النسمات
فتعرّت كل الأشجار على نظراتي
ثم هبطتُ وحيداً في حزني[1]

إن الحزن الذي نلحظهُ في هذه المقطوعة قد استبان من خلال ألفاظه التي عكست في سياقها سوداويةً وهو يريد من خلال هذا أن يرمز إلى حزنه بالوحدة والغربة المعاشة خارج وطنه .

ومن المعروف أن الغسق هو الظلام وهل يستطيع الإنسان أن يتلذذ بالنسمات ، هل أن خاطرة الشاعر كانت سليمة ، يمكننا القول بأن كل نسمات الدنيا لاتصفي عكر خواطرهُ ، ويقصد الشاعر بأن تعرّي الأشجار بسبب خريف عمره الذابل ، وهو لم يرتقِ بل كان حالماً (غير واقعي) استفاق ووجد نفسهُ بين آهات الحزن فهو لم يرتقِ أبداً.

فيقول :

قطرةُ ماء
من إحدى الغيمات انحدرت
بحبال العطر تدلت
لتحط على نافذة القلب
كانت تنقر كالعصفور
لكن
لمّا عرفت أن الحزن سيقتلها
أنسلت
دمعاً من عيني

(1) (غسق) ، ديوان عبير المرايا :6 .

للغيمة عادت ثانيةً [1]

لعل الشاعر كان يتأمل لحظة فرح بعد حزنٍ عميق فيرى بأن قطرة الفرح المدلاة بحبلٍ من العطر وهو تعبير مجازي ، ومن المعروف أن للقلب باباً مفتوحاً دائماً لكن شاعرنا لشدة حزنهِ لم تستطع قطرة الفرح الصغيرة أن تنفذ من بقايا نافذةٍ خاوية في قلبه بعد أن أوصد بابه لكثرة الألم والحزن ، فتلاشت الفرحة وعادت للمجهولٍ ، وهو هنا قد شبه القطرة بحال النقر للعصفور فهو ربط بين الطبيعة الصامتة (القطرة) والحية (العصفور) ليرسم لنا صورة مجازية واضحة المغزى للطبيعة .

أمّا في (المرآة والصورة) يقول :

المصابيح أستفاقت في المساء وأنا والبحر نجوى وذهول
شفنّي الصيف ووارني الشتاء وتجلت فيّ أحداث الفصول
أأنا العهد الذي طال البقاء وتعرّى خلف ماضيه الثقيل
لم يُجاذب صحوتي قط أرتقاء غير ما يحمله عنها الأصيل
بسمتي البعد ومرآة الفضاء صورتي الأخرى وأحلام تطول[2]

الشاعر هنا يُمني النفس بأن تستفيق من غيبوبة الصمت في أحد المساءات ، وهو يُناجي بحر الهموم التي أثقلت كاهله وهو يصف حياته كالفصول الأربعة بين لهفة الصيف وبرد الشتاء واندثار الربيع والخوف من خريف العمر ، فهو يُعاني من الالتزام بالعهود التي طال بقائها إلى درجةٍ يرى فيه وكأنه يحمل كل هموم العالم ، وكثرة الكبت غيّرت ملامح ومعاني الأشياء عندهُ ، فالبسمة عنده البعد والصورة لا يراها إلاّ في الحلم فأي إنسان هذا الذي يُغير دائماً في ناموس الكون .

وهو قد أنسن في نصه مجموعة من الألفاظ التي مرت من خلال مجازها تحولات واقع حياته ،ويقول:

الماء والمرآة
كلاهما أبصر فيه صورتي

(1) ديوان صيف العطور الخرساء : 15 .
(2) ديوان عبير المرايا :50 .

إن أبصر وجهي في المرآة
لا أتحسس وجه الكافور
أما في الماء فأرى
وجهي يخفق في سنيني[1]

فهو يربط هنا بين صفاء الماء الذي يشبهُ صفاء المرآة ، وعلى الرغم من أن الماء عنوان الحياة الاّ أنه يحاول ربطه في حكمته الأبدية (الموت) بسبب اليأس الذي أوصد أبواب الأمل فيه ، فهو لايحب المرآة ويفضل أن يُبصر أو يرى وجهه في الماء للعلاقة الجدلية بين الماء والكافور فكلاهما شرطان أساسيان لجواز المرور الى الفناء (الموت) وهذا جل مايتمناه الشاعر وقد نتلمس في بداية النص أشارته الواضحة الى النرجسية ويقول في (فناء) :

على سفح قلبي
تحط طيور المساء
تلوذ
وثم تنقر حبّ الفناء[2]

للوهلة الأولى يبدو الشاعر متفائلاً عندما يجعل من قلبه ملاذاً لطيور المساء بعد عنائها الكبير للبحث عن المأوى و الطعام ، وهذا المأوى الذي يوفره الشاعر لتلك الطيور لايتم دون ثمن بل وصلت به السوداوية أن يقتل حتى الطيور عندما يتمنى لها أن تنقر حب الفناء فتموت ، ورغم تناول الشاعر مفردات الطبيعة الجميلة (الصامتة والحية) الاّ أنه جعل منها مأساته الأبدية .

وهو يقول في قصيدة أخرى:

(1) ترنيمة من زمن التكوين : 6.

(2) المصدر نفسه : 11.

عطش

أنا الحسين قد أضعت كربلاء
بحثت عنها في مجاهل السماء
سألت عنها في متاهة البلاء
في بسمة الأطفال في مناحة النّساء
في يبس الصيف وفي كآبة الخريف في انتفاضة الشتاء
ورغم حقد الرمل وارتعاشة المطاف
ركبت من شوقي اليها جامح الأيام وأنتشيت بالجفاف
نكزت مهري مرتين
لم يمش الاّ خطوتين
تعبت من ارهاصاتي الأخيرة
علقت بالزلف والضفيرة
ناديت أني فارس الأميرة
لم يسمع الركب النداء
لم يعرفوا ما الموت يعني دون ماء
رجعت والرمل يساوم الدماء (1)

تعد هذه القصيدة من أروع قصائد الشاعر فنراه قد جسد شخصية وقضية الامام الحسين في افضل تجسيد كيف لا وهو يجسد من رسم طريق الحرية للاجيال ، ونراه قد استخدم القناع في هذه القصيدة ،إن عالم الحسين يختلف كثيراً عن عالم الشاعر، فالحسين متكلم والشاعر صامت ، والحسين موقف والشاعر متغير والحسين بطولة والشاعر هزيمة ، وبالرغم من إجادة الشاعر في توظيف عناصر الطبيعة ولأول مرة في ديوانه يحاكي الشخوص الحية (الأطفال ، النساء ،المهر) لكن بتوظيف ضبابي مبهم فهو يستخدم التضادات الفكرية في التعبير (بسمة

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر : 94.

الأطفال) و (مناحة النساء) و (يبس الصيف) و (كآبة الخريف و (انتفاضة الشتاء) وكأنه ينتزع منها عناصر الحياة (الماء، أوراق الشجر ، الثلج) وكأن الفصول لديه صحراء ، يضاف الى ذلك إن الشاعر بالرغم من بحثه عن كربلاء (القضية) لكن كعادته يدور في حلقة مفرغة ، فهو لم يمش ولم يتعلق بخيط الأمل ، فهو محارب من دون سلاح ، وعاشق من دون حبيبة . إن شاعرنا يستخدم الرمل كثيراً في النص والرمل يعني السراب ، أو دلالة الغرق بالماء.

نستنتج من ذلك أن لاصلة بين كربلاء الحسين وكربلاء الشاعر الخافية ، المتعبة ، المفرغة من مضمونها ، وهي انعكاس لانهزامية وانطوائية الشاعر نفسه . لأن الحسين لم يضيع كربلاء (القضية) ، لكن الشاعر قد ضيع كربلاء وهي (العراق) وشتان بين القضيتين .

يستنتج الباحث من خلال دراسته لهذا المبحث ان الشاعر(قصي الشيخ عسكر) أنسن الطبيعة الجامدة من (رياح ، ليل ، صحراء ، بحر ، قمر ، رمل ، أشواك ، نهر ، صبح ، النار ، صخر ، ماء ، شمس ، شجر ، الغيمة ، ظلام ، ضباب ، السراب ، الصيف ، الشتاء) أكثر من أنسنته للطبيعة المتحركة على الرغم من أنه قد ربط بينهما في بعض الأماكن فقد وردت لفظة (طيور ، عصفور) لكن تبقى الطبيعة الصامته هي العنصر المهيمن على قصائد الشاعر .

مع ذلك بالرغم من توظيف الشاعر للطبيعة من الناحية الوصفية التي برع فيها وأجاد للنص وليس للمتلقي فهو قد أخذ المتلقي الى دياجير الظلام ووحشة المكان عندما حول روعة الطبيعة الى مأساة عندما جعل منها شخوصاً تحاكيه بلغة الخوف والمجهول.

أن الشاعر في رحلته هذه في ربوع الطبيعة التي يفترض أن تكون سفينة لنجاة الشاعر من طوفان همومه وآلامه لكنه جعل منها سجناً كبيراً لعواطفه المنكسرة ووطنه المفقود وكأنه يتمنى أن يذهب بعيداً ويركب سفينة اللاعودة للحياة في بحر متلاطم الأمواج لا أمل فيه للنجاة ، سوى السراب الذي يعيشهُ في غربته ووحدته . تابعاً خطى الشعراء الذين سبقوه كالسياب وأمل دنقل وخليل خوري الذين أنهوا حياتهم واستعجلوا عليها بالموت .

المبحث الثاني : أبعاد الصمت ودلالاته

تشكل مفردة الصمت في شعر الشاعر المغترب (قصي الشيخ عسكر) ظاهرة لافتة للنظر ، فلا نكاد نجد مجموعة شعرية من مجموعاته الخمس تخلو منها ، وتبدو هذه المفردة عند شاعرنا مهيمنة على قاموسه الشعري بشكلٍ واضح وجلي ، وقد بدت ذات وحدة شعورية متميزة تجعلنا نحسها للوهلة الأولى وهي أشبه ماتكون بقصيدة ذات ايقاع منتظم يمكننا تسميتها بـ (قصيدة الصمت) ، وفضلاً عن ورود تلك المفردة في اثناء قصائد الشاعر فأننا نلحظها ماثلة في عنوانات قصائدهِ (قصيدة الصمت) و (أجنحة الصمت) و (مملكة الصمت) ....[*] .

كل ذلك دفع الباحث الى الوقوف على النصوص الشعرية التي زخرت بهذه المفردة، محاولة منه في سبر أغوار رموزها ودلالاتها ، وقد تبين أن لحياته أثراً بالغاً في تكرار مفردة الصمت في مجموعاته الشعرية ، فهو مليء بالحزن والألم والحرمان والغربة والحنين للوطن والأهل والأحبة ، وعلى حد تعبير الحموي (قصيدة الشاعر في كثير من الأحيان ورقة ناقلة لنوع الهم الذي يعانيه الشاعر ويتكلف به في حياتهِ) [1].

ويضاف الى كل هذا العامل الأكبر وهو موقفه الرافض لواقع المجتمع (سياسياً واجتماعياً ...).

والشاعر صاحب أفكار متجددة ، وتأملات طويلة ، ويكتب بنفسٍ طويل واختيار مميز للمفردة والفكرة ، وصاحب صور مثيرة للنظر .

من حيث المفهوم يعني الصمت التوقف عن الكلام[2].

ويعد هذا التعريف للصمت جزءً مهماً من بحثنا ، لأن الصمت حسب الخيال الشعري والصورة الشعرية يدل على أكثر من معنى وله أكثر من معادل مثل (السكون ، الجمود، الموت ، العدم اللاشيء ، ...) .

(*) توجد قصائد أخرى .

(1) خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر الحموي ، تحقيق عصام شيخو ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ،1987م : 64.

(2) لسان العرب لأبن منظور ، مادة الصمت ، ج321/1 .

ولقد وردت مفردة الصمت في معجم المقاييس في اللغة على انها (الصاد ، الميم ، التاء) أصلٌ واحدٌ يدل على ايهام وإغلاق من ذلك يقال : صَمَتَ الرجل إذا سكت وأَصمت[1].

ويُعد الصمت من أحد ضروب الفن الأصيل .

والصمت (حليةٌ تزين صاحبها ، وخلة ترفع من مقامهِ ، وكما يحسن المرء الحديث، ينبغي أن يحسن الصمت) [2].

وقد حث الإسلام على الصمت ان لم يكن خيراً من القول .

الصمت والبعد الروحي

البعد الروحي يتخذ في شعر الشاعر من خلال الصمت معنيين هما المعنى الديني والمعنى الصوفي ، ونقصد بالمعنى الديني النفحات القرآنية أو التعاليم الدينية التي تمحورت حولها كلمة الصمت في شعرهِ.

أما المعنى الصوفي وهو البعد المعنوي والمعنيّ بوحدة الوجود والإنسان بصفتهِ محوراً للوجود .

من خلال اتصال هاتفي مع الشاعر وسؤالي له عن الصمت ذكر لي صمت زكريا وصمت مريم العذراء (ع) ، وأشار الى الأيتين الكريمتين ((**آيتك الاّ تكلم الناس ثلاثة أيام الاّ رمزاً**)) [3] ، وقوله تعالى ((**فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا**)) [4] ، والصمت بمعناه القرآني الذي يدل على الكلام يرد في قول الشاعر :

---

(1) معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ) ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1994م : 576.

(2) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، مجاهد مصطفى بهجت ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، مصر ، 1975م : 317، مطبوعة .

(3) سورة آل عمران ، آية (41) .

(4) سورة مريم ، آية (26) .

هل قتلنا الحزن فينا مرّة وتظاهرنا بأنّا أبرياءْ
ورحلنا نحن والصمت معاً وغفلنا عنه فالصمت نداءْ (1)

وفي موضع آخر يدل الصمت على الخير والحدث الجديد :

أعني على صوتي أعنك على الصدى
ليلتف صمتاً في نشيدك لحني
أعودُ بلا صوت تضج بي الدُنا
فتخبرني عنها وتسكت عني(2)

ويستوحي الشاعر من خلال الصمت بعض المعاني القرآنية مثل الشرك والتوحيد ، يقول تعالى ((**لاتشرك بي شيئاً**)) (3) فالمعنى السابق يستوحيه الشاعر.

قالت فاتنتي لاتشرك بي أحدا
الصمت معي
كيف إذن لا أشرك ؟ (4)

فهو يعبر عن المطلق الأبدي بالصمت ومما يؤكد قولنا المقطوعة الاتية التي ترد في المجموعة ذاتها :

الأسماء اختلفت فيه
قيل هو الصمت لأنه يلمع في لحظات التيه (5)

(1) عبير المرايا :25 .
(2) المصدر نفسه : 58 .
(3) سورة الحج ، آية (26) ، والآيات الكريمة الأخرى: العنكبوت، آية (58)، لقمان ، آية (13)، النساء ، آية (36).
(4) عبير المرايا : 92 .
(5) المصدر نفسه : 97.

من الممكن أن نقول من هو الذي يدلنا على الطريق حين التيه والضلال غير طريق الله تعالى .

من خلال كلامنا عن صمت الشاعر وورود هذه المفردة بإشارة من القرآن الكريم نجده قد اقتبس مادته التي يريد ايصالها الى السامع (القارئ) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر علينا ألاّ نغفل عن ماورد عن رسول الله (صلى الله علية وآله وسلم) في هذا الجانب حيث يقول : (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**) [1].

ومن اللافت للنظر أن الصمت يدل على الحكمة والتأمل والصبر وهو من علامات زهد المرء وتواضعه وتقواه .

وعند تحليل نصوص الشاعر النثرية والشعرية يجد المتأمل أن هذا الصمت ، موضوعي يخفي وراءه جملة من رؤى فلسفية وفكرية يحق لنا أن نسميها بتعبير جائز (بفلسفة الصمت) .

وهي ليست ببدعة ، فلقد (سبق وعرفها فلاسفة مصر القديمة والهند ، والصين ، في رفضهم لظاهرةً ما أو قضية ما ، أو موقف ما ، خشية من بطش الحاكمين والفراعنة والمستبدين الجبابرة) [2].

والصمت في (النصوص الأدبية يستعمل بشكلً شائع للتعبير عن الحالات السايكولوجية مثل (الغضب ، الرفض ، السخط من الواقع المؤلم ،وقد يعني الانعزال والانطواء) [3].

وهو عند الشاعر ينطوي على فلسفته التي تفسر سر محنته وغربته وألمه وبعده عن وطنه وأهله ، ويكتسب فن الشاعر قيمته لدى الكثيرين من الجانب الفكري الذي لا يبذل

(1) الحديث أورده مسلم في صحيحه : 491.

(2) الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، علي حسين الجابري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 1985 : 84.

(3) الصمت في مسرحية أبناء منهارون ، لأدوارد توماس ،نص : آدم جادرسكي ، ترجمة : صلاح السعيد ، نشرت في مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد4 ، لسنة 2002م ، ص30 ، السنة الثالثة والعشرون .

هذا الأديب المغترب جهداً لإخفائه.

وهو استعمل الصمت في عدة معاني ودلالات ليعبر عن الواقع المؤلم ، ويجسد هموم الانسان وطموحاته ، ووصفه المعاناة والمأساة الانسانيتين في حدودهما العامّة وهو يعبر عن كل هذا بلغة شعرية صافية ، نابعة من القلب بعيدة عن التكلف والتصنع .

ولايمكننا أن نغفل ان الدراسة البحثية الأكاديمية تقتضي منا أن نربط بين صمت الشاعر وبين المواقف الصامتة الأخرى التي تنطلق أحياناً للتعبير عن حالةٍ ما أو موقف معين يكون تأثيرها أبلغ من الخطابات الرنانة والتي في النتيجة ماتحصل على ماتبتغيه من علو الصوت .

لكن الأمانة العلمية تقتضي منا أن لانميل ولا نتعاطف مع الشاعر الذي على مايبدو أن صمتهُ مختلف عن صمت الآخرين فهو يعبر دائماً عن العجز والهرب من المشكلة حين وضع لنفسهِ منهجاً سوداوياً الى درجة حول الطبيعة والإنسان الى أشياء جامدة .

فهو قد عاش شيخاً كبيراً منذ الصغر، لكن مع كل هذا نجده من الذين ينقشون بالصمت أروع الكلمات، ويصنعون بالصمت أجمل المواقف .

ومن خلال نصوص الشاعر التي تفيض صمتاً وحزناً تبين ان الشاعر على حد تعبير الدكتور فهد محسن فرحان في وصف احد الأدباء (كان حزيناً حقاً ، طافحاً بالعذابات المدافة بالألم والغربة والضياع والإحباط والانتظار والصمت ، فقصائده شفيفة الحزن كشمسٍ غاربة عند المساء ، مع فسحة أو نزعة أو شكاية ويأس وعدم جدوى من معيشة كدر وانكسار يرين على النظر بسبب العيش في الأيام السوداء التي لاتبقي في اليد سوى الريح) [1].

يقول الشاعر في قصيدة (الصمت) :

هو الصمت يأتي غريباً

وينساب وحياً من الياسمين المندى

يذكرني بالصفاء القديم متى كان حزنك همساً

(1) جريدة المنارة – زغب الطيور الهاربة – حسين عبد اللطيف ، ع94 ، حزيران2004م ، نقل من لحن (الحزن وثنائية السواد والبياض) في شعر عبد الرزاق حسين ، دراسة موضوعاتية للدكتور فهد محسن فرحان .

يجيء مع الربيع ينوء بذكرى العذوبة عهداً
ويسكر عهداً
ومالك تشكو
وتلك دروبك سُدِّت
بعطرٍ
سيخضر ظلاً وشوقاً
كليلاتك الحمر تطوي الصفاء
ولّما يطلُّ صباح
كسير الجناح
سينفض ليلاً
من العطر هذا السكوت المباح (*)
فخذني اليك
لأني اتهمت الورود بسرّي
فلا الخوف قيدٌ
ولا الشوق يرقى
بغيرك تنأى فصول وتدنو فصول
وهذا هو الصمت
يأتي
بطيئاً ، جميلاً
كحزنٍ يخط بعينيك
سرّا مباح !! (1)

في هذه القصيدة تفوح رائحة الصمت والحزن عند الشاعر وفي (شعرنا المعاصر استفاضت نغمة الحزن ، حتى صارت ظاهرة تلفت النظر ، بل يمكن أن يقال أنّ الحزن قد

(1) ديوان عبير المرايا : 1-2 .

صار محوراً أساسياً في معظم مايكتب الشعراء المعاصرون من قصائد ، لأن مايهمنا هو الحزن كما عاشوه لا الحزن كما عاينوه) [1] .

فأحياناً قد يكون الصمت الذي هو الحزن في مفهوم الشاعر (قصي) رسول حب أو وحي أو طيف يذكره بالأيام الخوالي الجميلة الصافية العذبة التي تذكره بالعهد القديم ، عهد الصبا والمودة والحب ، الذي يلوذ بالصمت أحياناً ويفوح بالعطر أو يأتي كطيفٍ أحياناً آخر .

ان الشاعر يشبه العلاقة المفترضة بينه وبين حبه المجهول كالفصول بين ربيع أخضر وشتاء بارد قارص ، وبين صيف جدب حار وخريف تسقط فيه كل وعود الحياة.

وفي نهاية المطاف وعلى الرغم من قساوة الصمت فأن الشاعر يفضله على الحياة لأنه أصبح نديماً ورفيقاً في سفره في هذه الحياة وهذا الصمت والسكوت عند الشاعر معادل للحزن الكبير الذي هو مكنون في قلبه وفي وجدانه وخلجات نفسه المتعبة القلقة .

وأما لو عرجنا على الصمت والأسطورة في شعر الشاعر لوجدنا أن الصمت يعد مرتكزاً أساسياً (ثيمة) يعتمد عليها الشاعر في بناء النفس الأسطوري والملحمي للقصائد لاسيما قصيدة (رحلة الشمس والقمر)التي حملت المجموعة اسمها[2]، إن عناصر التفكير الأسطوري تقع منتصف المسافة بين المدركات[3]، والمفاهيم الحسية أي اننا نتعامل مع واقع مجرد وليس بإمكاننا أن نفهم تلك المعادلة لأن الصورة لايمكن أن تكون مجرد فكرة[4]، وقد وجدنا أن الدال في بنية شعر الشاعر الأسطورية تعتمد بصورة واسعة على مفردة الصمت بكل تجلياتها في قصيدة (رحلة الشمس والقمر) يبدأ الشاعر بداية ملحمية كما تبدأ ملحمة جلجامش:

(*) الشاعر اقتبس هذه الصورة من الف ليلة وليلة بقول شهريار وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح

(1) مجلة الشعر – للثقافة والارشاد القومي ، ع16 ، ص36 ، 1965م ، ظاهرة الحزن في شعرنا الحديث ، د. عز الدين إسماعيل.

(2) ديوان (رحلة الشمس والقمر) :16 .

(3) شتراوس ، كلود ليفي ، مقالات في الأناسة ، أختارها ونقلها الى العربية ، د. حسن قبيسي ، بيروت ، 1983م : 35.

(4) المصدر نفسه : 38 .

في اللحظة إذ أخرج من صمتي
تغرز مخلبها الشمس بصدري

فهي بداية تأملية انطلقت من الصمت أساساً كما انطلقت ملحمة جلجامش من الرؤيا .

هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يابلادي[1]

إن الرؤيا الباصرة تأمل والتأمل صمت وبالرؤيا أصبح هناك بلاد وحياة وأرض وبحار ، فنحن حين نقرأ شعراً كهذا لا نقرأ شعراً لأحداث عابرة بل يتناول مظاهر لاتفقد دلالتها المستقبلية فهو يتناول أكثر المظاهر ثباتاً وديمومة[2]، ومن أكثر الأمور ديمومة ومثاراً للجدل في الفكر الانساني قضية الموت ، والملاحظ ان ملحمة جلجامش بدأت بالرؤيا وبدأ الشاعر بالصمت ثم استخدمت القصيدة بين مرحلة صمت وأخرى أدوات ملحمية هي :

الماس : الحجر الكريم

ظمأي لون تاه بصحراء الماس سنينا [3]

ثم نحت لصديقه تمثالاً جاعلاً صدره من الأزورد وجسمه من الذهب[4].والماس في الصحراء حيث الجدب والقحط والموت عطشاً وعلى جثة أنكيدو حجر قديم .

المرآة والماء
سيد الماء وفي روحي أمرأة تلبس عري الأشياء
وتوميء للمدن المسلوبة سحراً والمصلوبة عشقاً
أن تنزع عنها فيروز الصبر على شطآني[5]

(1) باقر طه ، ملحمة جلجامش ، منشورات وزارة الأعلام ، الجمهورية العراقية 1975م : 45.
(2) زمن الشعر ، أدونيس علي أحمد سعيد ، بيروت ، ط3، 1983م : 10.
(3) رحلة الشمس والقمر : 14.
(4) زمن الشعر ، أدونيس علي أحمد سعيد ، بيروت ، ط1 ، 1983: 109.
(5) رحلة الشمس والقمر : 15 .

أن توميء هو فعل يعبر عن الصمت في رسم معنى جديد والمرآة ارتبطت بالماء وارتدت التناقض (تلبس وعري) وهو فعل الترويض نفسه الذي في البداية لم تتكلم المرأة مع أنكيدو بل كانت تؤدي حركات لتعلمه .

نضت عنها ثيابها[1]

ومن مفردات الأسطورة في القصيدة :

اللؤلؤة ... البحر ... الحوت ... الأوثان

ليصبح الصمت واحة أشبه بمنطقة تستريح عندها المفردات فيكتشف الصمت .

من بين الرؤيا والصمت
تمضغ عن بعد شرفة قلبي النظرات
هو ذا صمتي يطبق فوق الآفاق
إن أصمت فالعالم لي وحدي

ثم تطالعنا أسماء أخرى بعد الصمت لنساء هنّ أشبه بآلهة أو نساء تراثيات تغزل بهن الشاعر العربي في قصائده القديمة .

والماء وبعض الخوف من الاسماء وتلك الرائعة المدعوة
لبنى أو ليلى أو سلمى والمجهولة لي
هو ذا صمتي يعرفني

في حين خلال رحلة البحث تلك عن الحقيقة يتحول كل شيء الى سكون أو صمت لاينطق ، وهذا يحدث في الغد -->

فغدا
وفق الرؤيا
تصبح أحجاراً ذاكرتي

(1) رحلة الشمس والقمر : 62.

الشمس حجارة

الليل ، الريح

الماء ، الفرح ، الاحزان ، الخوف ، النور ، العدم ، الأوقات ، الناس

البحر ، جيوش الرعب ، الأحزان

فنحن أشبه ما نكون أمام مدينة مسحورة في حكاياتها الشعبية كل شيء فيها يلتزم الصمت المطبق حتى تسير القصيدة نحو خاتمتها المتفائلة[1].

وبعيداً

عني حلمي

يقطف غصن الشمس

ويدخل كون الروح

ولابد لنا من ذكر معادلات الصمت والتي هي وفق قانون الأزاحة الذي يعني حلول كلمة محل أخرى يصبح الصمت بديلاً عن مفردات أخرى قد تكون معنوية أو حسية ، فالصمت في مشهدٍ مايصبح معادلاً للطهارة والنقاء وهو يحلّ محلهما كما في قوله :

فبريق الصمت أحجار خطايا عفرتها بالدنيات السيول[2]

فالصمت في البيت السابق يمثل حالاً من الأرتفاع أي القمة التي تتدنس إذا ما انحدرت للأسفل ، وفي مشهد آخر يصبح الصمت مدلولاً جمالياً يدخل في عملية التوليفة الجمالية الخلاّقة :

من أيما ضفة أبصرت فاتني النور ينثرها والصمت والألق [3]

وفي مشهد آخر يتحول الصمت الى ضحية ، إنه يشبه الحيوان الذي يذبح من دونما سبب ويصبح الضحية هو القائل :

---

(1) رحلة الشمس والقمر : 16 ، 17 ، 18 .

(2) مجموعة (رؤية) : 12.

(3) المصدر نفسه : 15 .

أعاند الليل لايقوى على أرقي وأذبح الصمت فوق الرعب بالصخب[1]

لكن الصمت نفسه يتحول الى قاتل وجلاد في القصيدة نفسها بعد أن كان ضحية في البداية أي أنه يتقمص حال الفعلية معاً .

إن كان صمتك يعني وأد أمنيتي ليس الكلام وإن أخفيت من إربي

وقد يكون الصمت ملحقا لجزء ما وهو في هذه الحال ليس تابعاً بل جزء أساسي:

العطور الخرساء تشدو لصيفٍ في عيون العصور يغفو ويشرق[2]

الخرس أو الصمت في البيت السابق تابع من توابع العطور والعطور صامتة ناطقة عبر حاسة الشم حيث أحتمل الصمت حاسة أخرى عبر تبعيته للعطور التي استقرت في الصيف ذي السطوع إذ الصيف أكثر وضوحاً من أي فصل أو زمن آخر، من تبعية الصمت البيت الآتي :

وجعلت الظل كفي والندى وجهي الصموت [3]

حيث ارتبط الصمت بالوجه وهو جزء مهم من الإنسان وبالندى ذي الانتشار الواسع فالصمت كلام تابع للوجه الصامت ومنتشر في الندى .

(ولعل الصمت يكون مقابله حيث يتطابق الدال والمدلول أو يختلف الدال والمدلول)[4].

الماء وما يحمله لايعرفني من صوتي
بل يعرفني من صمتي[5]

فالدال الذي هو الصمت تطابق مع نفسه الذي هو السكوت والهدوء وابتعد عن الصوت أي المدلول المضاد ، فالماء ← الصمت // الهدوء ، السكون

↓ دال

(1) رؤية : 29 .
(2) صيف العطور الخرساء : 6 .
(3) المصدر نفسه : 43 .
(4) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال الدار البيضاء ، 1986م :33.
(5) صيف العطور الخرساء : 43 .

مدلول

وأمّا (الاختلاف بين الدال والمدلول فالغرض منه ترك الحرية للقارئ وتحفيزه على إدراك الصورة الشعرية وسبر غورها بنفسه)[1] ، كما في النص :

واطلقُ همسي في مداك لعلني أغالب صمتي أن يعود كما بدا[2]

فالهمس هو درجة من درجات الصوت نقيض الصمت لكنه أقرب من حين المعنى للصمت لما يدل عليه من رقة تتجسد في الصمت وربما تفهم البيت التالي بالطريقة نفسها :

ليلٌ من الصمت لاتخفيه بارقةً إلاّ على نظرة أقسى من الحجر[3]

في السابق كان الصمت رديف الرقة فخالف الهمس بطبيعته وانطوى فيه والآن كان الصمت قاسية أو تجسدت فيه قسوة الحجارة فكانت تقابله النظرة الصارمة :

صمت // همس – رقة

صمت +++++ نظرة – قسوة .

غير أن هناك مفردة واحدة يستوعبها الصمت من غير أيّما درجة في التباين والتطابق إلاّ وهي مفردة الحزن ، وهذا يتجلى في مجموعتيه الأخيرتين التاليتين وهما عبير المرايا ورحلة الشمس والقمر ، و (هناك الكثير من بواعث الحزن لدى الشاعر فنراه محلقاً ومغترفاً من مناهلها ومدلولاتها إلى (الغربة والإحباط ، والصمت والألم ، والهروب والقلق ، والوحدة والانتظار والتي كلها تُعد عهداً أساسياً في بنية الحزن الذي أدركه الشاعر وصورةُ لنا)[4] ، حيث يقول :

عيناك كالفجر الخجول إذا تكدر بالسكون فلم يسـعه مجال

(1) المشاكلة والاختلاف ، الغذامي ، الدكتور عبد الله محمد ، المركز الثقافي العربي ، 1994 م : 6 .

(2) صيف العطور الخرساء : 8 .

(3) المصدر نفسه : 9 .

(4) ظاهرة الحزن في شعرنا الحديث ، د.عز الدين إسماعيل ، نشر في مجلة الشعر – الثقافة والإرشاد القومي ، ع16 ، 1965م : 3 .

فالصمتُ يبعث في النفوس كأبةً ويفيض منهُ على العيون جمالُ[1]

فالهجر علامة بارزة تكشف المستور ، قراءة ، ووضوح ، معرفة ، علم فهو يكشف أستار الظلام التي تحجب الرؤيا ، والعيون هي البصر ، وهي القلب وهي الوسيلة للقراءة أو الكشف .

الصمت السكون ، التأمل ، الشروع في الحصول على المعرفة من حيث الظاهر السكون يدل على الكآبة أي الحزن كأنهُ في هذه الحالة أرتبط بالنور والفجر كاشف الحجب ودليل المعرفة ، فالحزن نفسهُ أصبح أداة معرفة مثل الصمت الذي تدلنا عليهِ وتشير إليهِ حركة الفجر الإنسيابية المتمثلة بالعيون ، ولنا مثال في صورةٍ أخرى[2] :

فما حد الحزن وقد كان الصمت مفاتيح الغيب[3]

الحزن ، الصمت ، الغيب ثلاث مفردات ترادفن وفق تداعيات مختلفة الصمت لاحدّ لهُ فهو بعيد الغور ، عميق ، لايسبر غوره ، فالحزن والصمت الذي نراهُ في قصائد الشاعر سببهُ الرئيس الغربة والوحدة والألم والخوف من المجهول الذي لامفرّ منهُ وهو في ديار الغربة والمحنة .

فالحزن هو الصمت نفسهُ ، وهو الغيب نفسهُ من غير حد ، فهو يتداخل في الغيب وفي الصمت ، والصمت نفسهُ يصبح في بعض المشاهد الشعرية لثلاثة معان أو معنيين إذ نراه ينشطر إلى ثلاث مفردات كما في المشهد الاتي :

أجنحة الصمت ثلاثة

الأرض وسيف الجدب المسلول

ونفور الوردة من ظمأ الصحراء [4]

(5) ديوان عبير المرايا : 65 .

(1) رحلة الشمس والقمر : 25 .

(2) المصدر نفسه : 25 .

(3) المصدر نفسه : 25 .

فهما شيئان محسوسان وثالث معنوي : نفور ، اثنان ، عنيفان قويان الأرض والسيف، وواحدة تمتاز بالرقة هي الوردة ، ولابد من أن نذكر أن الصمت بدون أجنحة وهو يعني السكون والسكون يعني عدم الحركة والتي بدورها تعني توقف الحياة ومن غير المعقول أن نجعل من الأرض المعطاة جناحاً للصمت فالأرض تعني الحركة والحياة والعطاء الدائم، وإذا كان الشاعر في تعبيره عن نفور الوردة من ظمأ الصحراء ، فالوردة قد تعني المحبوبة ، وبالتالي فعلينا أن نفهم إن الصحراء تعني الشاعر نفسه ، ويالیتنا كنا مع قصي الشيخ عسكر لنحل اللغز بسؤال عن ماهية المحبوبة المفقودة ولماذا وصل إلى مرحلة اليأس إلى درجةٍ يشبه حياته بالصحراء القاحلة اليابسة الجافة ، ومصداق قولنا هو :

صمتك من حزني صحو

الصمت هو الحزن وهو الصحو

وقد يكون الصمت ردة فعل لدى الشاعر بسبب الوضع السياسي الصاخب والواقع السلطوي العنيف الذي يؤمن بالضجة الموجهة لمصلحته فالنظام الحاكم يُسير المظاهرات ويرفع الشعارات ويسّخر وسائل الإعلام لمصلحتهِ لكن تلك الضجة تستفز الشاعر فيقرف منه ويفضل عليها نباح الكلاب الذي ينطلق في هدوء الليل ، فنحن البشر صامتون مهما زعقنا ومهما صمتنا والكلام أو الصخب الحقيقي المسموح بهِ هو نباح الكلاب[1] ، ويقول في هذه الأبيات الشعرية :

قد أسكر الليل اختلاط النباح فنام في قلوبنا واستراح

كأنما في مطلع سارقٍ فتطرد الكلاب عنا الصياح

فقطعي الصمت ولاتهدئي لغيرك الضجة لا تستباح[2]

فأسكر التي هي فعل يلبس الضد من معناه والكلاب التي تنبح ليسكر الليل من نباحها كأن الصبح سارق تهشه بالنباح عنا وتبقى الكلاب هي المتكلمة الوحيدة فمسموح للكلاب مالغيرها .

(1) مكالمة هاتفية أجريتها مع الشاعر سألته فيها عن أبعاد الصمت في شعره ودلالاته .

(2) رحلة الشمس والقمر : 85 .

أمّا الشكل الثاني في ثورة الصمت على الواقع السياسي فهو كونه يمثل الثورة العربية بخاصة القضية الفلسطينية وثورة الحجارة – إن هذه الحجارة الصماء وهذا السكون المتمثل بالحجارة يستطيع أن يقاوم أعتى قوّة غاشمة على وجه الأرض في حين تعجز أقوى الأسلحة العربية أن تقف بوجه المعتدين لبضع ساعات :

حجرٌ تفجر في السكون ملاحماً فتناغمت بنشيده الأرواحُ
الشمسُ تهفو نحوه لتضمه ويتيه من شغف بهِ الإصباحُ
سلمت أكفَّ الراجمين وقدّس الحجر الذي في صمتهِ إفصاحُ
وتبارك الصخر الذي بسكوتهِ نطق الصباحُ فولت الإشباحُ[1]

ومثلما يمثل الصمت ثورة المجموع يمثل أيضاً ثورة الإنسان المفرد ، إنهُ ردة فعل الإنسان المقاوم الذي لايفكر بالهزيمة وفي هذهِ الحالة يرقى الصمت إلى أرفع درجات الصخب والعنف والرفض ، فقد يصمت المرء ترفعاً وقد يصمت رافضاً للواقع المؤلم :

ورحلنا نحن والصمت معاً وغفلنا عنه فالصمت نداء
قدري أني على الأفق مدى مفعمٌ بالروح والأفق خواء[2]

فالإنسان يصمت ليخلق ثورة ، والحجر ينطق ليحرر الإنسان في ما يقوله الشاعر توظيف لمفردة الصمت من أجل خدمة قضية الأمة ببعدها : التحرري من احتلال الأجنبي لأرضها لاسيما أرض فلسطين ، والثوري الذي هو محاولة الأمة لتغيير أنظمة الحكم السائدة في البلدان العربية .

أمّا إذا عرجنا على أهم قصائد الشاعر (قصي الشيخ عسكر) والتي لها تأثير كبير وانعكاس لواقعهِ فنراه يقول :

أسطورة الموت هي الحياة
تلمنا مع البذور في الربيع

(1) عبير المرايا : 114 .
(2) المصدر نفسه : 25 .

تنثرنا بصفرة الأوراق في الخريف
وفجأةً
كصخرةٍ راسخة السكون
تلعقنا
بصمتها الثقيل[1]

فالتناقض يبدو واضحاً في هذهِ المقطوعة للشاعر فهو يشبه الحالة الإنسانية بكل أبعادها ودلالاتها بحالة النبات ، والنبات حينما تسقط أوراقه في الخريف ويموت في الشتاء ويتجدد وتعود له الحياة في الربيع ، فإن كان (قصي الشيخ عسكر) يقصد في موته موت القلب فمن أين يأتيه الربيع لكي يحيا من جديد .

ويقول :

الصدى والوجد وأستار الظلام
الهوى الغيض وأستار السنين
إنها أنت فكم جئت وقلبي
حزمة من عنبر تحرق صمتي[2]

فهنا تناقض بين وجدانية الشاعر والواقع الذي يعيشهُ ، فمن المعروف أن الهوى والوجد يعني اللوعة والاشتياق ومن ثم فمن المفترض وجود شيءٍ ما في قلب الشاعر يشتاق إليه ، بينما يوجد هنالك أستار من الظلام تبعد الشاعر عن المحبوب المجهول المفترض ولا ندري هل أن طبيعة الشاعر قد جعلتهُ يفترض هذا الحب الوهمي وغير الموجود على أرض الواقع ، وهل إن هذا الوجد من بنات أفكاره لاحقيقة له ، إن قصي الشيخ عسكر قد عودنا دائماً بتقابلاته الشعرية فهو يجمع بين الألم والفرح والنهار والظلام والخير والشر ، والمطر والجدب

(1) ترنيمة من زمن التكوين : 2 .
(2) ديوان رحلة الشمس والقمر : 37 .

أو القحط ، في صورة شعرية واحدة متناقضة ، لكننا نعترف ببلاغته الشعرية وقوة النص لديه ، أمّا في هذه القصيدة القصيرة فنراه يقول : [1]

تعبتُ ومسرى العقربين طويل ... وليس إلى خيط الصباح دليلُ
لماذا يلمّ الليل سيرك مبطئاً ... كما النور كابوس عليك ثقيل
خفوت هي اللحظات حلّ نشيجها ... فإن حل ساع ضجّ منك عويل
أرى البدء من حين النهاية ترتقي ... فما نحن في خلد وليس نزول
كلانا يدور اليوم في نبضاتهِ ... ويعجز عن دركِ النزيف مسيل
تحار الثواني إذ تصير إلى علا ... فيدفعها عقب الصعود نزول
أغار علينا الصمت رهبة ليلة ... وصوتك في سوح الظلام يصول
سراعاً فهذا الليل أفتك فاتل ... وكل وحيد في الضياع قتيل[2]

هنا الصراحة المباشرة من الشاعر إلى السامع (المتلقي) فهو في هذهِ القصيدة قتلهُ الصمت الطويل إلى درجةٍ أوصله إلى مرحلة اليأس ، فهو دائم البحث عن أملٍ يخرجهُ من عزلته ، وكذلك ولأول مرّة وبدا واضحاً عليه بأنهُ قد ملَّ من حياته السابقة المليئة بالمتناقضات التي كانت نديمة لهُ في ليلة حالكة الظلمة ، إن قصي الشيخ عسكر في هذهِ القصيدة القصيرة نزل من صهوة جوادهِ ورمى سلاحهِ جانباً واستسلم لعدوه المعنوي (الصمت ، الليل ، الكوابيس ، الرهبة ، الظلام ، الوهم) ، فالشاعر قد فقد كل شيء حتى بصيص الأمل الذي كان نديمه في قصائده السابقة ، وكأنه يعيش اللحظات الأخيرة ولا ندري إن كان هجران الوطن أو فراق الحبيب هو الذي أدى بهِ لليأس والاستسلام والضياع .

إذاً يمكننا القول إن الصمت بدأ بداية رمزية غير غامضة في مجموعة الشاعر الأولى (رؤية) ، ثم تطور إلى غاية جمالية وصوفية في مجموعته الثانية (صيف العطور الخرساء) بعد ذلك اتخذ بعداً صوفياً وإنسانياً عاماً وبأفكار فلسفية في مجموعته (عبير المرايا) و(رحلة

(3) المصدر نفسه : 98 .

(1) رحلة الشمس والقمر : ص98 .

الشمس والقمر) وهذا شيء لامبرر له برمته حسب تطور ثقافتهِ وأبداعهِ فصمتهُ نابعٌ عن حزن عميق سببهُ الغربة والبعد عن الوطن والأهل والأحبة . ويمكننا القول أن ثلاثة أرباع صمته نابعة من حزنهِ العميق .

الباب الثاني

الدراسة الفنية

المبحث الأول : اللغة الشعرية

تعد اللغة الشعرية : من المكونات الأساسية للقصيدة بما تتضمنه هذه اللغة من ايحاءات ودلالات وما تحمله من أفكار وصور موسيقية ومواقف انسانية ورؤى فنية جمالية تفصح لنا من خلالها عن ذات الشاعر وطريقة تعبيره ونظرته للوجود ، وقد تختلف هذه اللغة في استخدامها من شاعر لشاعر ومن عصر لآخر فلكل شاعر لغته الخاصة في التعبير والكتابة عن غيره من الشعراء وهي عنصرٌ مهم وأساسي من عناصر الخلق الأدبي ، ويبدو (أن الكثير من النقاد يرون إن سر التعبير الأدبي إنما هو في العبارة ذاتها)[1] ، فاللغة هي الباب الرئيس للدخول والتمعن في ثنايا الشعر واكتشاف مقدرته على التطور والنمو [2].

واللغة في رأي نازك الملائكة (كنز الشاعر وثروته ، وهي جنته الملهمة ، في يدها مصدر شاعريته ووحيه ، فكلما ازدادت صلته بها وتحسسه لها كشفت عن أسرارها المذهلة وفتحت له كنوزها الدفينة)[3]، والشاعر عادة ما يلجأ الى اختراق العوالم المألوفة صانعاً من ذلك عوالم خاصة به ، ليؤثر في المتلقي واللغة واسطته في ذلك فالأدب ليس انعكاس للحياة بحرفيتها ، بل هو ابداع وتجديد[4] ، ونجد أن الألفاظ والصور المستخدمة في الشعر تلعب دوراً كبيراً في اضفاء معاني التجديد والأبداع على الواقع المألوف ، شريطة أن يوفق المبدع في خلقها[5]، وقد امتاز شاعرنا (قصي الشيخ عسكر) كما يقول الدكتور مصطفى جمال الدين بلغة شعرية صافية ، محكمة ، قوية ، موزونة [6]، وقد تميز قصي الشيخ عسكر كما

---

(1) مفاهيم في الأدب والنقد ، حكمت علي الأوسي ، القاهرة ، ط1 ،1967م : 27 .

(2) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد مبارك ،بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، 1993م : 25.

(3) الشاعر واللغة ، نازك الملائكة ، بحث في مجلة الآداب ، ع10 ، ت1 ، ،1971م :11 .

(4) في الأدب ومفاهيمه المعاصرة ، د. عبد الخالق دومة ، ط1 ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر 1990م : 58-59.

(5) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل ، ط6 ، المكتبة الأكاديمية ، 2003 م :125 .

(6) مقال نشر في جريدة البعث السورية (قصي الشيخ عسكر) قراءة في ديوان رؤية،د.عيسى فتوح،العدد(8372)لسنة 1990م : 5 .

يقول الدكتور صدام فهد الأسدي بدقة التركيب ، ولغة شعرية متميزة [1] ، واللغة التي تتشكل من المفردات والتراكيب والصور تُعد مفاتيح للمعجم الشعري ، لذا سأحاول أن أتعامل مع لغة الشاعر التي أختط منها اغترابه وحزنه وصمته وفقاً لتلك الخطوط الأساسية التي يتشكل منه معجمه الشعري، إذاً فالشاعر يُعيد بناء تركيب المفردات على مستوى أعلى مما كانت عليه ، بمعنى آخر " أن اللغة الشعرية هي موت اللغة وانبعاثها من جديد على يد الشاعر الذي يخلق طينتها[2] .

أ – الفاظ الحزن والاغتراب

إن معجم الشاعر الشعري يحتوي على ألفاظ تُشير دلالاتها إلى نفسيتهِ القلقة الحزينة فقد كان ينسج هالة فوق الشرخ الروحي المتمثل بالإغتراب والبعد الذي ملأ نفسه ففاضت ألفاظ (الحزن ، الوحدة ، الهموم ، العزلة ، المنفى ، الاحتضار ، الشوق ..) على شعرهِ ، وما استعماله هذهِ الألفاظ إلاّ تعبير عن حالةٍ ما يقع في حدودها وجدان معذب فنراه يقول في قصيدة (احتضار اللهيب) :

وبين احتضار الربيع
وحزن الطريق
تناشر شوق
بعرس الغبار
فكان السكون الأنيق
شواهق كلُ الظواهر
كأن الزمان القديم
يقول لمن عادوا
غداة احتضار الليالي الخوالي

(1) ينظر: (عندما يصبح الوطن ضبابا) دراسة نقدية في شعر قصي الشيخ عسكر، مقال نشر في الأنترنت، موقع (الناس)،2008م: 1 .

(2) ينظر: (الاغتراب في شعر نازك الملائكة) ، ساجدة عبد الكريم خلف التميمي – إطروحة دكتوراه بغداد ، 2006م : 135 .

هلّموا
فإن البراءة في الحزن كانت
خطايا الصفاء القديم[1]

فلو تأملنا كلام الشاعر لحظات لوجدنا أنهُ يتكلم عن ذاته بصورةِ الغياب (وبين احتضار الربيع وحزن الطريق تناثر شوقٌ) وهذا ناتجٌ عن نفسيتهِ القلقة ، فدلالة ألفاظ (الحزن ، الشوق ، الاحتضار ، السكون) ترسمُ لنا لحظات حزينة تمتد على كيانٍ معذب ولذلك (جاءت مثل هذه الطائفة من الألفاظ مساوية لنبض الوجدان الذي يحمل عبئاً ثقيلاً ، لتكون هذهِ الشكوى التي تستند في بنيتها الرئيسة إلى الأحزان دخولاً إلى فرعيات لغوية أسهمت إسهاماً فاعلاً في إقامة البنية التكوينية التي تبث صورة المشاعر الحزينة)[2] .

ويقول :

متعبةً
كانت تلك الرغبة
فهوت فوق زجاج القلب
بعد فراقٍ
كادت تنسى فيه وجهتها
لمّا عادت تلك الرغبة موقعها
نحو زجاج القلب
أضحت
كالحزن بلا حد
كالهاجس لايؤويه مكان ![3]

(1) ديوان (عبير المرايا) : 32 .
(2) يُنظر الاغتراب في شعر نازك الملائكة : 139 .
(3) ديوان (عبير المرايا) : 28 .

فالشاعر قد وظّف هنا بعض المفردات اللغوية لوصفِ حالة الأنكسار التي وصل إليها ، وهو هنا قد استحضر كلمة الزجاج دلالة منه على هشاشة الحاجز الذي بين قلبه وبين الرغبة ، فيجمل لرغباته وأمانيه وهي على امتداد مع الزمن ، كالحزن الذي لاينتهي بوطنٍ أو عنوان ، فألفاظ (التعب ، الفراق ، الرغبة ، زجاج القلب ، الحزن ، الهاجس) كلها مفردات استحضرها الشاعر ليشير إلى مدى الإحساس الحقيقي لمعاناته وآلامهِ . ويقول :

وامتدت خلفك أنسام ثكلى
بالخوف ... وحُبلى
بالحقد ، وراءك تمتد مسافات
قد تغريك لتنزل من حزنك
أو تغري بعرضك لا عن ندمٍ في يوم ما[1]

فهو هنا يتلاعب بالمفردة اللغوية ويجمع بين الأضداد في معنى واحد ، وهذه مبالغة منهُ لأن النسمة تعني الرقة والعذوبة والشفافية ، فكيف تأتي محّمله بالخوف ومملوءة بالحقد الطويل بطول المسافات التي تمتد فيها ، وإذا كانت النسمة ثكلى وحزينة فكيف تغري كائناً لينزل من حزنه وهذا غير معقول ، ولعله يخرج ذلك مجازاً واللغة من شأنها المجاز ، فهو قد وظّف مفردات اللغة الشعرية في هذه الأبيات في غير موضعها ، ولا نلومه على ذلك لأنهُ انعكاس لواقعه المضطرب وغير المستقر ، ولذاتهِ المحمّله بشتى أنواع الهم والألم .

أمّا في هذهِ المقطوعة فيقول :

هذا أنت أم الموتى عادوا
وأظنك لا تحزن إن عاد الموتى قبلك
أو عادوا بعدك[2]

فهنا ملامح الشاعر واضحة حيث يتكلم عن نفسهِ وعن ذاتهِ وهو هنا لا يُفرق بين الكائن الحي والميت ، فهو عندهُ واحد ولا نبالغ إذا قلنا : إن الشاعر وإن كان حيا فهو

(1) يُنظر : ديوان (صيف العطور الخرساء) : 24 .

(2) المصدر نفسه : 24 .

يحتضـر ولا قيمـة للحيـاة عنـدهُ ومفـردة (الحـزن) ضـيفٌ دائـم علـى مائـدةِ الشـاعر المليئـة بالآهات والألأم والتناقضات ، فخلاصة الحياة عندهُ هي الموت ، ومن ثم أضحت مفردتا (الحزن – الموت) الأعمدة الرئيسة لديه وهذا كله ناتجٌ عن واقعهِ المؤلم كما قلنا سابقاً.

أمّا في هذه القصيدة فالشاعر يُصرّح عمّا يعتلج في قلبهِ من مرارة بلغة شعرية واضحة ، صافية ، قوية ، كما قال الدكتورة مصطفى جمال الدين ، وبأسلوب بسيط لا معقد فيقول :

يُقال :
كما للرياض سمات الغروب
تكون هموم القلوب
يعلمني الحزن أن السكون
ضريح الأماني
لأبسط كفي
كسرٍ صقيل
وحيداً تفرد بالقلب إذ لاخيار
أمام الهموم[1]

فهو قد وفق هنا حينما استخدم مفردات (الغروب ، السكون ، الهموم) في نصٍ شعري طغى عليهِ هذه المرّة جمال النص ، وكمال المعنى ، بحيث بدت القصيدة لنا كلوحةٍ جميلة وإن طغى عليها الحزن لكن هذا الحزن يُداعب العقول ، ويُثير القلوب ، مما أدى بنا أن نقول أن شاعرنا شاعر الصمت والحزن .

(1) ديوان (عبير المرايا) : 39 .

ب- ألفاظ الصمت

وردت مفردة (الصمت) في شعر الشاعر في أكثر من موضع وكانت في كل موضع لها معنى ودلالة تختلف عن المعنى السابق ، بحيث أدى كل هذا إلى دراستها من ضمن نتاج اللغة الشعرية خصوصاً أنها وردت في مجموعاتهِ أكثر من مائة مرّة فيقول:

أضعتك مرّة
وذات مساء وجدتُ بعينيك خوفي
لغيرك أرنو
وبين السلاحف أمضي لحزني (أكسر حزني)
ووقتٍ ضرير
لعابك يمتد شوكاً بصمتي
ويُلقي إلى الأرض لحمي
يمصُّ كأفعى دمائي
أعود إلى الأرض وحدي (فأهوي)
لأن دمائي بغير قرين
إذا مسّت الأرض صارت نبوءة [1]

في هذه القصيدة وظّف الشاعر مفردات (الضياع ، الخوف ، الحزن ، الصمت) كمفردات بينة في النص ، بحيث تُعطي صورة جميلة من الناحية اللفظية من جهة ، بينما وظّف كلمات السلاحف ، الضرير ، الأفعى ، لإعطاء صورة لواقع الشاعر النفسي حين يكون الحزن ثقيلاً عليهِ ، بطيئاً كالسلاحف ودون بصيرة ، لكنهُ قوي كسم الأفعى ، لذا فهو صامت لكنّ صمتهُ هو نفسهُ الحزن .

ونراهُ يقول في قصيدة أخرى :

البحر يغني
وتغني عيناك بصمتٍ
قد لا نسمع أنغام البحر

(1) ديوان (صيف العطور الخرساء) : 38 .

ولكن
نسمع أنغام الصمت[1]

فالشاعر يتفنن بالنص ، وهذا التفنن واضح ، ومن المعروف أن البحر يغني بصوتٍ عالٍ مع ملاحظة أن الشاعر يعطي أهمية أحياناً لحبكة النص على حساب جمالية وقيمة وحيثيات النص الشعري ، فالقاريء قد ينبهر بنص الشاعر ولكن قد يتفاجيء بماهيته التي هي قريبة من اللغز .

ويقول :

الصبي الصمت
مازال رقيقاً
وأليفاً
وطليقاً
إنه يرقب وجهينا
فيرتدّ
غريباً
وعنيفاً
حينما
غير بعض الأقنعة
عبثت
عيناك بالليل فأضحى
أشرعة[2]

هنا تشبيه مجازي ، فالشاعر يشبه الصبي بالصمت للدلالة على إن صمت الشاعر مازال مبكراً ، فبالأمكان أن يتحمل فترات أطول من الصمت ، لكنه في الوقت نفسه يؤدي

(1) ديوان (عبير المرايا) : 94 .

(2) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 46 .

الى الانفجار الذي يكون عنيفاً ، فقد روّض الشاعر في هذا النص مفردة (الصمت) وجعل منها رفيقاً أليفاً وخليلاً في حياته المحملة بالآلام .

فهو دائماً يفاجئنا بألفاظه المتميزة ، والقوية في المعنى كما يقول الدكتور صدام فهد الأسدي[1] عنه في أنه يختار الألفاظ القوية لتؤدي المعنى المرجو منها .

ويقول في قصيدة (لقاء):

وجدتك
لما تعذر بيني
وبين المساء الشفق
وكان
جدارٌ من الصمت يهوي
فتزحف مثل الجراد الثواني
لتغزو واحة قلبي[2]

فنرى ان صمت الشاعر في هذه القصيدة وفي كلّ قصائده نابع من حزنه وانكساره ومعاناتهِ ، فالصمت ومرادفاته السكون وغيرها من المفردات التي أشرنا اليها في مبحث سابق استخدمها الشاعر في نصوصه الشعرية ماهي الاّ عن مايحس به الشاعر وما يعبر به في قصائده الشعرية ، فالصمت والحزن هما الأساس في أكثر قصائد الشاعر .

إذا هناك سؤال يطرح نفسه ، هل وفق الشاعر في لغته الشعرية ؟ وهل (قصي الشيخ عسكر) أبدع في شعره ؟

يمكننا القول نعم قد وفق الشاعر في توظيف المفردة داخل نصوصه الشعرية بشكل مسبوك الى درجة إن الشاعر كان متقناً لحرفته وقد أبدع فيها على حد علمنا ، وقد كان مبدعاً على طريقة الفن للفن وليس الفن للحياة ، وكان جل اهتمامه بالحزن واليأس كما ترى الدكتورة هدى الصحناوي عندما تكلمت عن شعره[3] ، وقد أبدع شاعرنا في قصائده العمودية

(1) ينظر : عندما يصبح الوطن ضباباً : 2.

(2) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 47-48.

(3) ديوان (رؤية الارتقاء بالصورة)، هدى الصحناوي ، مقال نشر في جريدة الثقافة الأسبوعية ، العدد (13) ، السنة التاسعة والعشرون ، دمشق ، 1987م : 3

والنثرية، فلو نظرنا اليه وهو يقول في قصيدة (رسائل الى صغار رائعين) . يقول منادياً ومخاطباً رحاب وهي ابنة أخيه الشيخ أسعد :

جددت لي عهد الشباب ... لله درك يارحاب
طالعت رسمك مثلما ... ترنو الصحاري للسحاب
فرأيت فيه وجه أمي ... والأحبة والصحاب
وقرأت في عينيك لي ... عتبي فما أحلى العتاب
عماه قل لي قصّة ... تحكي حوادثها العجاب
عن ذلك البحار ... تطويه سنين الإغتراب
قادته خطوته الى ... أمل يخادع كالسراب
فمتى يعود لأهله ... من بعد ماطال الغياب
إني أحدث عن طفولة ... شاعر ذاق العذاب
إني التفت فلا أرى ... غير المصائب والخراب[1]

فالشاعر قد أبدع في هذا النص العمودي الموزون لكثرة المعاني التي أغنانا بها ، وقوة الألفاظ التي استحضرها في النص ،فألفاظ (الصحاري ،العتاب ، العجاب ، الاغتراب ، السراب ، الغياب ، العذاب ، الخراب ....) ، كلها ذات دلالات ورموز تدل على حياة الشاعر ، وواقعهِ ومعاناته ، وآلامهِ ، وإنكساره وإنهزامهِ أمام المصائب والخراب الذي مني به ، فهو قد أبدع في صياغته الألفاظ داخل القصيدة ، الاّ أنه يعكس الصورة نفسها التي عر فناها عن (قصي الشيخ عسكر) عندما نغوص في مضمون القصيدة ، صورة مؤلمة ، حزينة ، صامتة .

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 78-79.

ج- الظواهر اللغوية :

الجملة الاسمية والفعلية :

ابتداءً يمكن القول بأنه (إذا كانت الأفعال تكثر في الأبيات من القصيدة فلأنها تمثل لحظات الشك والآلام التي لاتزال تغور بالشاعر وتقحمه)[1]، وهذا مايمكن أن نراه – بصورة عامة – في مكانة الجملة الفعلية ودورها في لغة الموروث بنوعيه – النثري والشعري ، ولاسيما أن السياق بصورة عامة (مهم جداً في اللغة المكتوبة لتحديد وظيفة بعض أجزاء التركيب)[2]،وهذا مايعطي السياق الشعري إمكانية التفرد والأبداع في توظيف الفاظه ومعانيه بشكل يطبع نصه بطابع الأصالة وخصوصية التناول و (بسبب طبيعة الفعل نفسه التي تتصف بالدلالة على الحركة والاضطراب)[3]، فقد آثر الشاعر انتخابه للنمط الفعلي بما يتناسب مع مافي نفسه من حدة وعنف وقلق ، لذا نرى أن الجملة الفعلية قد اتخذت مكانة الصدارة في شعره قياساً بالاسمية .

فقد أضفت هذه الجملة سمة التحول والاستمرارية ، والابتعاد عن الرتابة والثبوت والجمود الذي تمثله الجملة الاسمية ، (فالفعل دلالته التحول والأسم دلالته الثبوت)[4]، ونحن لانقصد في هذا أن الجملة الاسمية لم تأت في شعره[5]، غير أنها أقل في شعره قياساً مع الجملة الفعلية .

---

(1) الشعر واللغة ، د. لطفي عبد البديع ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1969م : 103.

(2) ينظر : شعر الجواهري دراسة موضوعية وفنية ، أناهيد ناجي فيصل ، رسالة ماجستير ، كلية ال تربية ، جامعة البصرة 2005م : 120

(3) ينظر : لغة الشعر عند الجواهري ، علي ناصر غالب ، اطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة – كلية الآداب ، 1995م : 9.

(4) ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ط5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2004م : 174 ، ومعجم البلاغة العربية ، د .بدوي طيانة ، المجلد الأول ، ط1 ، منشورات جامعة طرابلس 1975م : 125-153.

(5) ينظر : قصائد الجملة الأسمية (رؤية : 7، 14، 24، 44،36، .... صيف العطور الخرساء : 7 ، 15، 16 ، 26 ، 40 ، 43، .... عبير المرايا : 8، 10 ، 23 ،35 ، 44 ، 50 ، 64 ، 92 ، 97، 103 ، 113، رحلة الشمس والقمر : 23 ، 29 ، 31، 33 ، 56 ، 68 ، 77 ، 86 ، 88 ، 105 ، ...) .

فمن قصائده التي افتتحها بالجملة الفعلية قصيدته (حلول) حيث يقول :

وزرعت في جمر الليالي ثورتي كـي التقيك بسورة النيرانِ
فمسحت عن ظلي قساوة حيرة قطفت لي ندم الندى الوسنانِ
حتى تكللت الهواجس باللظى كالليل يلبس حلة الهيجانِ[1]

فجاء الفعل (زرع) بما يحمله من دلالات متناغماً مع ايحاءات الشاعر للمتلقي بأن كل شيء في حركة وتغير واستمرارية الحدث وهذا كله بسبب تقلبات نفس الشاعر واضطرابها ومدى القلق الذي تعانيه .

وقوله في قصيدة أخرى متخذاً من الجملة الفعلية واسطة لرحلته البعيدة عن الوطن والأهل فيقول :

وتركت الظل خلفي والزمان العنكبوت
وجعلت الليل كفي والندى وجهي الصموت
وتمليت حدوداً خلف أشواطي تموت[2]

فهكذا نلحظ جملته الفعلية تأخذ مكانة الصدارة في قصيدته الشعرية ، ليجري عن طريقها حواراً ، ونحن نعلم بأن الحوار يدل على الحركة والتحول ولا يعني الجمود أو السكون .

ويقول :

أراكِ تمرين رغم انبهار الفصول
فراشة نار تلملم وقدي
تشدين نزفي لوجس الغيوب
لليلٍ يحاذر وهبة شهد[3]

فالجملة الفعلية (أراك تمرين) دلت علي التجدد والحدوث والاستمرارية وليس على الثبوت أو عدم الحركة . ويقول أيضاً :

---

(1) ديوان (صيف العطور الخرساء) : 3.
(2) المصدر نفسه : 8.
(3) ديوان (رؤية) : 8.

تشدُّ خطانا الريح كبراً فتينع
براعم للذكرى وغيظ مصدع [1]

فجاء الفعل (تشّد) ليدل القاريء على الحركة وعدم الثبوت في مكان واحد ، والخطى، والريح ،الدلالة البارزة على عدم ثبوت الشاعر في مكان واحد بل في تنقل وعدم استقرار.

ويقول في قصيدة (اختلاف الفصول) :

يشع بعينيك عطر الغموض
فيدركه القلب نبعاً
تفرد فيه الهجير
فكان اخضرار الفصول
فكيف تضيع المسافات في
واحة القلب بعد التداني ؟
ولما يلفُّ حرير الأسى بعد
سيهجر قلبي
الى حيث يغفو هناك
على جرف نبعٍ
يسمى :
اختلاف الفصول[2]

فالأفعال (يشّعُ ، يدرك ، يلف ، يهجر) كلها تدل على الحركة وعدم الاستقرار ، وهذا نابع عن حياة الشاعر المعروفة بكثرة السفر والتنقل من مكان الى آخر ، آخذة معها كل الآلام والأحزان والهموم .

وفي قول آخر الشاعر يجمع بين الجملة الفعلية والاسمية فيقول :

يغرز في وجهي عينيه ويمضي

---

(1) رؤية : 39 .

(2) ديوان (عبير المرايا) : 28.

عيناه على جسدي
نورستان تحومان على الماء
فيتركني وحدي[1]

فالشاعر ابتدأ القصيدة بالجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل (يغرز) وهي تدل على الحركة والاستمرار (يغرز في وجهي عينيه ويمضي) ،ومن ثمّ جاء بالجملة الاسمية وهو حتى في ايراده جملة مبتدأ بأسم (نورستان) نجده يخبر عنها بجملة فعلية (تحومان على الماء) ليدلل لنا على التجدد والحركة والايقاع وهذا ديدن حياة الشاعر.

د- الأساليب اللغوية :

برزت أساليب لغوية متعددة في شعره ، أبرزها : (الاستفهام ، النداء، النفي ، النهي) ، وتظهر هذه الأساليب في بدء القصائد أحياناً ، أو في متنها ، ولعل اسلوب الاستفهام أبرز الأساليب وروداً في قصائد الشاعر، فقد وجدنا هذا الاسلوب متكرراً في قصائده كثيراً ، فهذا إن دل على شيء فأنه يدل على حيرة وتساؤلات تملكت نفس الشاعر تجاه الحياة ، وتجاه مامر به على مر الأيام من كل أنواع الهموم .

وبسبب طول انتظار الشاعر وعدم تحقيق مايرنو اليه من تحقيق بعض الأماني وسأمه من طول ذلك الانتظار ، وكأنه يسأل هل من مغيث ؟ ونتيجة للسأم الذي لازم حياته فقد جاء الشاعر يستفهم (بمتى) التي تدل على الزمان وهي هنا عند الشاعر خرجت للاستبطاء فيقول :

متى ينجاب لي الأفق
وأرضٌ مالها طرق ؟
متى أصحو لألقاني
يحطُّ على يدي الشفق ؟
فأبصر خضر أحلامي

(1) ديوان (صيف العطور الخرساء) : 39.

بجمر الليل تحترق
وأسقط خلف آثامي
كما يغتالني الأرق[1]

ويقول في قصيدة أخرى مستخدماً (متى) للزمان :

هذي الريح تعاويذ الغربة والآلام
فمتى تنزع عن سيف الموت قراب
الأنحار ؟[2]

فالشاعر هنا يتمنى أن تنتهي غربته ويتخلص من آلامهِ فإلى متى يبقى يصارع الهم والألم .

أما في هذه الأبيات فقد جاء كلام الشاعر وهو يستفهم عن الحال بأداة الاستفهام (كيف) حين يقول :

كيف سألقيك بصمتي ؟
وأجنبك الريح وظلي
وأعودُ إليك وحيداً وغريباً ؟[3]

فالشاعر يصف لنا حالة الوحدة والإحساس بالغربة وما ينتج عنهما وانعكاسهما على حياته ونفسيتهِ.

أما أداة الاستفهام (من) – فالشاعر قد استخدمها كثيراً في قصائدهِ وجاءت في كل نص تدل على العاقل حين يقول :

من يخلعني من هذي السعة الضيقة ؟
من يقطع عن نظري تلك الآفاق

---

(1) ديوان (رؤية) : 35.
(2) المصدر نفسه : 43.
(3) ديوان (صيف العطور الخرساء) : 31.

القلقة ؟[1]

ويقول :

من حاول أن يمضي بيني والاسطورة ؟
من حاول أن يفتك بالكون المصلوب على أسفاري ؟
من كسر صخر الكلمات ؟
من حطم أوثان النسرين بمعبد أحلامي؟[2]

ويقول في قصيدة (لغة الاقدار) :

من أنا ؟ من أكون ؟ أين اتجاهي ؟
ولماذا يثار حولي الفضول ؟
كيف أصبحت محوراً للقضايا ؟
أنا عنها بغيرها مشغول ؟[3]

الشاعر يتناص مع ايليا أبي ماضي في قصيدة (الطلاسم) ومطلعها :

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدماي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست أدري[4]

الشاعر هنا استحضر (من) للسؤال عن العاقل ، وجاء السؤال هنا عن ذاته وهذا دليل بأن الشاعر حياته في اضطراب وضياع وقلق يبين أنه نسى حتى اسمه ومن يكون، واستخدم (أين) وهو يسأل عن المكان وهو هنا تائه لامكان محدد يستقر فيه ، واستخدم (ما)

(1) ديوان (عبير المرايا) : 56.
(2) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 18.
(3) المصدر نفسه : 9.
(4) ينظر : ديان الشاعر أيليا أبي ماضي – قصيدة الطلاسم : 55.

وجاءت لغير العاقل و(كيف) وهو يتكلم عن حالهِ وهموم نفسه المتعبة ، وكأن الشاعر هنا في دوامة من الأسئلة المحيرة التي يطرحها بينه وبين نفسه أو ذاتهِ وهذا إن دل فإنه يدل على عدم توازن واستقرار حياة الشاعر .

أما أداة الاستفهام (كم) التي هي للعدد فقد جاءت في هذا النص الشعري وهي تعد الأيام والأشهر والسنين التي فارق فيها الشاعر أهله ووطنه ومدينته حين يقول :

لوجهك القديم [1]

قافلة من الأرق

يحدو بها الندى لآخر المطاف

كم زخة من السنين

مرّت على ترابك الموثوق بالغيوم ؟

وكم وكم

تساقطت ولم تبل عشقك القديم

وقد استخدم (هل) وهو هنا حقاً في حيرة وارتباك وعدم استقرار في ذاته حين يقول :

هل أنسج لي وطناً آخر ؟ [2]

يذكرني طفلا

لا أفهم معنى اليوم الآتي ؟

فجاءت (هل) دالة على عمق سؤالهِ ، وتيهه عن ايجاد إجابة شافية . وقد استخدم الشاعر اسلوب النداء ، الذي يعبر عن الحالات والانفعالات الخاصة سواء أكان ذلك النداء للقريب أو للبعيد ، فيقول منادياً الليل الذي يعتبره الشاعر مركز تكالب الهموم والأوجاع والآلام حين يقول :

ياليلي

يامسمار الخوف بحائط أحلامي

انزع جلدك مثلي

---

(1) رحلة الشمس والقمر ، قصيدة (البصرة) : 54 .

(2) المصدر نفسه : 66 ، وينظر : استخدام هل في – 106 ، 107 (عبير المرايا) 25 ، 76 ، 92 ، ...

وإنسج يا ليلي
موال العشق سلاماً
وجناحاً
ياليل : اكتب
عنواني عينان ترقان على جرحٍ تتثاقل منه السنوات
والدرب طويل[1]

أما في هذه الأبيات فقد استخدم الشاعر النداء للقريب ، فيقول منادياً المتاهة :

أيتها المتاهة المختنقة
تعطرت مرآة قلبي بالسراب
وارتحلت
عنك الى عوالم العطور[2]

فهو هنا يصور لنا تيهان طريقه وسراب (الوهم) أيام حياته ، وعدم الوصول الى غايته فهو في وهم واضطراب .

كما ورد استخدامه اسلوب (النفي) وهو هنا ينفي عن روحه الأمل وعدم الجدوى في البحث عن الذات (ذات الشاعر) لأنه في ظلام .

لاجدوى
في أن يبحث هذا الليل القاتل
عن مأوى
يُخفي فيه
جثمان الصبح المقتول على
شرفات العشق[3]

ويقول في قصيدة أخرى :

---

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 24-25.

(2) المصدر نفسه : 32.

(1) المصدر نفسه : 77.

ولمّا لفت عهودي
تجلى الغروب عقارب همت
بلدغي
فلا خوف الاّ نداء السكونْ
ولا شوق الاّ الحجر[1]

وقد استخدم الشاعر اسلوب النهي وقد جاء هذا الاسلوب معبراً عن الشاعر وحالة الغربة والحزن التي يعيشها ، حيث يقول في قصيدة (ظلال الصمت) :

لاتمسحن على الأحزان غربتها
فقد يعود بها للغربة الشفق
حيث الظلال عطور في تفتقها
تغزو القلوب فلا حرَّ ولاحرق[2]

(2) ديوان (عبير المرايا) : 42.

(3) المصدر نفسه : 51.

المبحث الثاني : الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية عنصراً مهماً من عناصر البناء الفني للقصيدة والصورة الشعرية(تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها) [1] ، وهذا العالم يستمد منه الفنان أجزاء صورته التي هي عبارة عن انطباعات في الذاكرة يتدخل فيها الخيال في تركيبها بالصورة التي تروق له ، وتشكل الصورة الشعرية مع النص الأبداعي كلاً متكاملاً ، أو كائناً حياً يتكون من أجزاء مرتبة ترتيباً دقيقاً[2]،بمعنى يحصل تأثيرها في المتلقي حين لايشعر بأن الصورة جزء متجزيء عن بناء النص الشكلي ، فإنْ شعر بذلك فقدت تأثيرها على القاريء ، ومن ثم فشلت في ايصال الفكرة المرسومة لها ، وهي تعد جوهر القصيدة وروح الشعر ، ومن دونهما يفقد الشعر أحد المقومات الأساسية في بنائه الجمالي[3]، والصورة الشعرية أساس مهم من اسس التركيب الشعري[4] ، فهي إحدى وسائل الشاعر في إيصال رسالته للقارئ ، (المتلقي) .

وعلينا أن لانغفل ما للصورة الشعرية من مكانة بارزة ومهمة عند النقاد قديماً وحديثاً، فقد أعتمدت المفاهيم النقدية القديمة الصورة أساساً مهماً في المفاضلة والتمييز بين الشعراء فما من شاعر قدم على غيره الاّ ان كان سبب تقديمهِ متعلقاً بمدى تمكنه من دقة التشبيه أو حسن الاستعارة ورجاحة الكناية ، ويظهر ذلك واضحاً في تقديم أمريء القيس وبإتفاق نقدي حين كانت مبررات تقديمه أنه أول من بكى واستبكى وقيد الأوابد وشبه النساء بالبيض[5].

فمن هنا اهتمت الدراسات النقدية القديمة والحديثة بالصورة الشعرية وكثرت حولها الدراسات وتعددت مفاهيمها واصطلاحاتها ، ونحن نتفق الى ماذهبت اليه الشاعرة نازك

---

(1) الصورة الشعرية حتى آخر القرن الثاني الهجري – دراسة في اصولها وتطورها ، د . علي البطل ، ط2 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1982م : 30.

(2) ينظر : صناعة الأدب بعض مباديء النقد في ضوء نظريات النقد القديمة والحديثة ، د. اسكوت جيمس ، دار الشؤون العامة ، بغداد ، 1968 م : 150.

(3) ينظر : شعر محمد حسين ال ياسين ، دراسة موضوعية وفنية ، صاحب رشيد موسى ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001م : 198.

(4) ينظر : تشريح النص ، عبد الله الغذامي ، ط2 ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، المغرب ، 2006م :148.

(5) ينظر : الصورة الشعرية عند عبد الرزاق عبد الواحد ، خضير عباس درويش ، رسالة ماجستير ، / كلية التربية – جامعة بغداد ، 2001م : 37.

الملائكة في عدها الصورة عنصراً مهماً من عناصر الحركة في النص[1]، فالصورة الشعرية بناء جمالي قائم على الحركة – حركة الخيال لدى المبدع والقاريء .

والصورة الشعرية اليوم تتداخل في بنية القصيدة أكثر من أي وقت سابق[2]، بمعنى أن الشاعر المعاصر يحاول أن يدمج عناصر القصيدة دمجاً لايشعر معه القاريء بتفكك النص الشعري داخل القصيدة .

والصورة الشعرية مزيج بين دلالة اللفظ ،وإيحاء المعنى ، لذا فهي تحقق بذلك نموذجاً أدبياً متكاملاً يجمع (اللفظ – والمعنى)[3].

وهذا مايعطيها أهميتها في النص الشعري ، والشاعر يلجأ الى الصورة دائماً في نقل تجربته الشعورية ، بوصفها الوسيلة الجوهرية لذلك النقل[4].

وسيقف الباحث في دراسته للصورة في شعر قصي الشيخ عسكر عند نوعين هما : الصورة الثابتة ،والصورة المتحركة .

(1) ينظر : قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ط2،مكتبة النهضة ، بغداد ، 1965م : 213

(2) ينظر : التجربة الخلاقة ، س – م بورا ، ط3، منشورات وزارة الاعلام، العراق ، 1977م : 13.

(3) ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني ، دراسة نقدية بلاغية ، د . محمد حسين علي الصغير ، د . ت : 37 .

(4) ينظر :الصورة الشعرية النوّاسية في النقد العربي القديم ، د . قصي سالم علوان ، مجلة الأقلام ، ع 11، 1980م : 77.

الصورة الثابتة :

تطغى ملامح السكون على عناصر الصورة الثابتة ، فهي بالتضاد مع الصورة المتحركة ، فجو الصورة المتحركة نراه يعج بملامح الحركة بعكس الثابتة ، ولعل الشاعر من خلالها أراد رسم أجواء التأمل في عمق الأشياء ويثير تساؤلات كما هو معروف عن (قصي الشيخ عسكر) فضلاً عن جانب رسمه لملامح خاصة بتجربته الشعرية ، فيعمد في ذلك الى اتخاذ الأسماء جسراً له أواتخاذه من الأفعال المستلبة الدلالة طريقاً يرسم من خلاله صورته الشعرية ، فالأفعال حين تنحو منحى سلبياً بمعنى سلب الأشياء دلالتها ترسم بذلك جوّاً من الثبات والسكون الداخلي على الرغم من حركتها الخارجية[1] .

فنأخذ مثلاً على ذلك قول الشاعر :

ولسور الوحدة أُسْنِدُ ظهري[2]

ورمال الدرب تطويني[3]

فالفعل جاء مستلباً لدلالة المعرفة ، حيث جاء فعل (الوحدة) مردفاً بمفردة (أُسندُ ظهري) مّما أظفى جوّاً من السكون والثبات على النص ، والذي يتمعن في النص يُدرك معنى الشاعر جيداً هنا ، وأما قولهُ (رمال الدرب تطويني) فالفعل (طوى) جاء بدلالة سلبية لدلالته الأولى وهي التواصل ، بإضفاء ملامح الرحيل وطول الطريق الذي لاينتهي بالنسبة إلى الشاعر .

ومن صورهِ التي تبدو عليها ملامح السكون ظاهرة قوله :

واقفةً في الصدر

تموت الأسرار

لا تتعرّى حتى للأحلام

قد

تسند غربتها

---

(1) ينظر أنماط الصورة الفنية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ، محمد صابر عبيد ، مجلة الأقلام – ع (9) أيلول 1989م / 132 .

(2) ديوان رؤية : 45 .

(3) المصدر نفسه : 25 .

لجدار من ضجر

لكن لا تتهاوى[1]

فقد رسم الشاعر هنا صوراً ثابتة لاتنم عن أدنى حركة فقوله (واقفة في الصدر ، تموت الأسرار ، تسند غربتها ، جدارٍ من ضجر ، لاتتهاوى) .

فهذه كلها عبارة عن رؤى وأفكار يطرحها الشاعر للمتلقي ، وهي انعكاس لواقع الشاعر الذي يعيشه ، فكانت الصورة الثابتة بما تمثله من معالم السكون الاّ أنها تمت بصلة لمعالم الشاعر النفسية والتي يتصف بها ، فهو عندما يقول : (واقفةً) فالوقوف دلالة على الثبات وعدم الحركة ، و (تموت) والموت دلالة على السكون و (تسند) والاسناد دلالة على الثبات على الرغم من أن الشاعر أردفها (للغربة) الاّ أن الأسناد هنا مجازي إشارة للشاعر نفسه .

و (جدارٌ ، لاتتهاوى) فهنا ثبات وسكون وعدم حركة فهذا كلهُ صورة حقيقية واقعية لحياة الشاعر ، وما تعتلج به نفسه من تساؤلات في هذه الحياة ، فشاهدة القبر علامة دالة ثابتة فوق القبر ترشد من يبحث عن ميته .

ونراه بقول في نص آخر :

شاهدةٌ القبر

بقايا من كتاب

بكلمتين تشطر الحياة

عاش ومات[2]

فالشاعر رسم لوحة للقبر بصورة ثابتة – ساكنة توحي بها دلالات الألفاظ (شاهدة القبر ، عاش ومات) فالصورة هي لوحة القبر ، والقبر دلالته السكون هنا موفقاً بين هذه المفردة وماتوحيه ، وبين الجو العام للقصيدة والتي رسمها عن طريق ملامح الصورة الثابتة غبر المتحركة والساكنة، والشاعر يوصل لنا أفكاره بصورةً مباشرة حقيقية غبر مجازية بأن نهاية كل شيء صائر الى الموت ، ويمكننا القول : أن هذا النص تفيض منه رائحة التأمل والحكمة

(1) ديوان عبير المرايا : 36 .

(2) ترنيمة من زمن التكوين : 7 .

وهي أن على الأنسان أن يكون مستعداً عندما يطرق الموت بابه ليأخذه من عالم الدنيا الى عالم الآخرة .

ويقول :

اسطورة الموت هي الحياة
تلمنا مع البذور في الربيع
تنثرنا بصفرة الأوراق
في الخريف
وفجأة
كصخرة راسخة السكون
تلعقنا
بصمتها الثقيل[1]

تبدو كذلك ملامح الصورة المتحركة في هذا النص بارزة (تلمنا ، تنثرنا ، تلعقنا) ، وكذلك تبدو ملامح الصورة الثابتة واضحة ولايمكن نكرانها ، فقول الشاعر: (**اسطورة الموت ، كصخرة راسخة السكون**) ، فهي كلها دلالات ورموز تدل على الصورة الثابتة غير المتحركة ،وكما أسلفنا سابقاً أن الموت دلالة على السكون وانتهاء الحياة ، أما الصخرة التي استحضرها الشاعر كتشبيه مجازي على حياته وفناء أيام عمره ، بين الربيع الذي يمثل ريعان الشباب وربيع العمر وبين الخريف الذي يمثل ذبول الحياة وانتهائها وهي بحد ذاتها تدل على الثبات وعدم الحركة ، ومما يعضد قولنا قول الشاعر :

كصخرة راسخة السكون

اذن يمكننا القول ان الشاعر في هذا النص أعطى صورة شعرية ثابتة مفادها أن الموت محتم ولابد منه ولايمكن للإنسان الفرار منه ، ويفرز لنا هذا النص عن حياة الشاعر وبيئته ، وكأنما زورق الحياة عنده يجري ولكن هناك من يرميه بالحجر ليوقفه ويقول :

بلادٌ [2]

(1) ترنيمة من زمن التكوين : 2+3 .

حفر الفجر على جبهتها

تابوتاً

غولاً

لا يمكن أن يوصف

ففي هذا النص تتجسم لنا الصورة الثابتة غير المتحركة في أبهى صورها كما ورد في قول الشاعر (تابوتاً ، غولاً) ، فدلالة التابوت دلالة ثابتة ساكنة وهي هنا دلالة مجازية استحضرها الشاعر ليشير الى عظم المصائب والنكبات والنكسات والظلم الذي مر به بلده وهو (العراق) ، ونراه قد استحضر (الغول) وكما هو معروف أن (الغول) حيوان اسطوري خيالي لاوجود له لكنه استحضره رمزاً في النص دلالة على مدى الرعب والخوف الذي كان بلده يعاني منه خلال تلك الفترة من الزمن ، إذن في هذا النص رسم صورة شعرية ثابتة ، قوية الوصف ،فيها الكثير من المعاني ، من أجل أن يبين ظلامة هذا البلد وشعبه ، أما في هذه القصيدة فنراه قائلاً :

عادت بليلي شجوني **لما مررت ببالي**

أكان هجرك عمداً **أم كان بعض الدلال**

إن اعتذرت بعذرٍ **ففي المنام تعالي**

إذا زففت لقبري **وغاب عنك خيالي**

مري على القبر كيما **تحس فيك رمالي**

تبقى برجلك مني **ذرات جسم محال**

لازال حبي مقيماً **حتى عقيب زوالي**[1]

في هذه القصيدة تتجسم الكثير من الصور وهي وإن دلت على شيء فإنما تدل على براعة الشاعر في كتابة نصوصه الشعرية ، وإختيار أقوى الألفاظ لإداء المعنى المطلوب ، فالشاعر في هذه القصيدة يصرح عن حبه وبصورة واضحة غير غامضة ويخاطب ويناجي المحبوبة.

---

(1) ديوان (رحلة الشمس والقمر) : 42.

(2) المصدر نفسه : 13.

أما مانلحظه عند قراءة هذا النص الشعري المثير ، فإن الشاعر قد استحضر (القبر) في أكثر من موضع ، والقبر دلالته السكون والثبات ، إذن فهو صورة ثابتة لاتنم على أدنى حركة .

لكنه قد استحضره ليزيد من بلاغة المعنى ، وإيصال مايجول في خلجات نفسه وقلبه وحاله المتعبة بصورة أسرع ، فبإمكان أي قاريء يقرأ النص أن يفهم حقائقه ، وتتكشف له خفاياه . ونراه يقول في نص آخر :

أحاور فيك اشتياقي الى الصبح يحكي الجليد
فرب الذي كان شوقاً سيعلن سرّي
وقبل السنين شواهد قبر
تعيد رسوم الزوايا
وأرقد في وجنتيك احتمال القرار
أغنيك بصمتي[1]

في هذا النص ملامح لصور متحركة (أحاور ، سيعلن سري ، تعيد ، أغنيك) ، فقد كتب الشاعر هذا النص الى الحبيب الغالي بلده (العراق) ===> (أحاور فيك اشتياقي الى الصبح يحكي الجليد) .

وقد استحضر (شواهد قبر ، وأرقد في وجنتيك) ، والقبر كما أشرنا سابقاً دلالة على السكون وعدم الحركة ، (وأرقد) والرقود هو عدم الحركة والثبات وكأنه يتمنى أن يرقد في تربة وطنه (العراق) الذي فارقه وهو في ريعان شبابه وحياته الى الآن ، وقد أفاد الشاعر في هذا النص من استخدام شواهد عدة كما مر بنا سابقاً لأنه يضخم الأشياء ويعقدها !

الصورة المتحركة :

في هذه الصورة تبدو ملامح الحركة وعدم الثبات واضحة ، لتضفي بحركتها جو التفاعل مع القاريء ، ومضيفة كذلك جو التبدل والتغير بالنسبة للتجربة الشعرية .

(1) ديوان عبيرالمرايا : 36 .

وقد تكون الحركة مصدراً من مصادر القلق لدى الشاعر كما يعد عنصر الحركة ملمحاً من ملامح الحياة فلعل اختيار الشاعر لهذا العنصر ، وإبرازه في الصور الشعرية كان يقصد من ورائه جملة مقاصد منها تعلقه بالحياة والتفاؤل رغم كل مايحس به الشاعر من وحدة وانعزال ويأسٍ وحركتها الدائبة عامداً في ذلك التواصل مع المتلقي من خلال عنصر الحركة في النص الإبداعي – على حد تعبير أحد الباحثين – و ((العمل الأبداعي (نصاً لوحه ... .) يحمل قيمة تواصلية مع الآخر))[1].

وهكذا تعمل الصورة من خلال عنصر الحركة فيها الى بعث ديمومة التواصل مع متلقي النص ، ومد جسور التلاقي من خلال اعادة خلق الواقع بصورة متحركة .

يقول :

أراك تمرين خلف الضباب
وبين خطاك انكسارات وجدي
وكان الضباب استلاب المطاف
وظل المطافي لأبعد حد
وهذا المتاه انحسار الطريق
وهذا الضيّاع بقايا التحدي
تمرين رغم انبهار الفصول[2]

فدلالة ألفاظ (أراك تمرين ، وبين خطاك ، انحسار الطريق ، تمرين ..) فهذه المفردات كلها تدل على صورة متحركة متواصلة غير ثابتة ، وفي هذا النص تبرز مشاعر الشاعر الوجدانية نحو وجد ما .

ولكننا لانعرف هذا الوجد الذي يشير اليه الشاعر ، ولكن كان مرور الشاعر مروراً مبهماً ضبابياً لارؤية خلف الضباب ولذلك فأن لانهاية لتلك الرؤية لعدم ادراك الشاعر بلوغ ذلك المطاف لأن الضباب مازال يؤثر في عدم بلوغ الشاعر للهدف المرجو من تلك الحركة .

وهذا واضح لنا من أن غاية الشاعر وهدفه بعيدة المنال فهو غير مستقر لكن في ضياع وقلق لعدم ادراك هدفه وغايته من سفر هـ هذا – ونراه يقول في نص آخر :

(1) ينظر : (شعر مجيد الموسوي) دراسة في المضامين والبنى الجمالية : 98 .
(2) ديوان (رؤيا) : 20 .

لأي انتصار دعاني الهجير
أقاوم هول الهزيمة وحدي ؟
أكاد أطيع حصار المصير
فيأبى عليّ اعتراضي وصدي
وأنت المصير اليه الرحيل
ستمشي خطاي على غير قصد
وأنتِ المدارات تلغي الإياب
وتلقي المشاة بطيش وتردي[1]

فنحن أمام صورة مؤثرة رسمها الشاعر ، فالشعر رسم ناطق[2]. وقد لعب الخيال دور اً في الصورة فهو عنصر رئيس في تصوير مشاعر الفنان[3]، لتجيء الصورة محملة بدلالات عدة تأتي الحركة ونموها على رأس تلك الدلالات.

فقول الشاعر : (الهجير ، الرحيل ، تمشي ، خطاي ، المشاة ، ...) فهي كلها مفردات تدل على الصورة المتحركة غير ثابتة ، فمعالم الحركة بادية على الصورة في هذا النص الشعري .

والشاعر هنا رسم لنا صورة الفراق ، متخذاً من جماليات الصورة المتحركة وجمالية الاستعارة طريقاً له في رسم صورته هذه فجاءت عباراته موحية بجو الحركة (دعاني الهجير ، اليه الرحيل ، ستمشي خطاي ، وتلقي المشاة) وهذه ألفاظ من دلالاتها الحركة .

ورغم شعور الشاعر باليأس المقرون بالهزيمة ، نراه يسأل كيف يدعوني من هجرني الى انتصار وهمي لأن الهجير تركه يقاوم هول الأنكسار والانهزام وحيداً الى درجة أنه تقريباً اقتنع بمصيره المجهول أمام شدة الحصار الفكري والنفسي بحيث لم يبق لديه أعتراض وصدّ للمجهول لأنه (أي الشاعر) ربط مصيره الأبدي على ذلك الهجير الذي ترك الشاعر ذاهباً إلى نقطة اللا عودة إلى درجة أن الشاعر يأبى العودة إلى نقطة الوعي إدراكا منه بأن لا

---

(1) ديوان (رؤيا) : 22 .

(2) خطاب الأبداع الجوهر – المتحرك – الجمالي ، محمد الجزائري ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993م : 184 – 185 .

(3) ينظر : شعر مجيد الموسوي ، دراسة في المضامين والبنى الجمالية : 99 .

مسار في طريق يكون الأياب فيه من حيث ابتدأ فيه لنفسه نقطة الرحلة ، أي بمعنى أدق وضع الشاعر نفسه بين مطرقة هجرة الحبيب وسندان اليأس .

يقول :

ربما قد عراك وهن فتهوي
هو صحو يقفو خطى الآمال
فجمال الحياة نسمو إليه
بمتاه وظلمةٍ وظلالِ
مغرب الشمس مشرع لهمومٍ
سادراتٍ بظنةٍ واحتمال[1]

فهنا تبدو حركة الصورة من خلال توظيف الشاعر لألفاظ تنم عن حركة كدلالة قوله (يقفو ، خطى الآمال ، متاه ، ...) .

أما لو عرجنا نحو النص الشعري للشاعر فنجد أن على الرغم من الألم والقسوة والشعور بالوحدة التي عانى منها الشاعر بسبب قسوة البعد والفراق نراه يلتمس الأعذار له وكأنه يتمنى إن الهجران وعدم الوصول ناتج عن قصور مرض كالتعب والوهن وهو في الوقت نفسه يعلم بأن الهجران كان عن قصد لا عن تعب أو وهن ، وهو يعلم جيداً بأن شمس حياته قد غربت ومسارات حياته قد سكنت وشراع سفينته الهوى والوجد قد هوت ولم يبق لديه سوى اللوعة والحزن وحلكة الظلام .

ويقول في قصيدة أخرى :

زئبقي هو هذا الفرح المحمول
في جنح الضباب
كنت مجهول الهوية
غير أني
أعبر الواحة من دون انتساب [2]

(1) ديوان (رؤيا) : 37 .

(1) ديوان (رؤيا) : 47 .

فهنا ملامح الصورة المتحركة تبدو واضحة للقاريء بدلالة (هذا الفرح المحمول ، أعبر الواحة من دون انتساب) ، وهو هنا يصف مشاعر الفرح لديه متحركة غير ثابتة ويأخذ هذا الحب الحركة الزئبقية التي تعني بأن تقلبات الحب لدية متحركة غير ثابتة ، فبلمح البصر يأتي الفرح وبلمح البصر يذهب الفرح ،إلى درجة أن الشاعر مجهول المشاعر والوجدان وما فائدة أن يجتاز الشاعر واحة الحب دون أن ينتسب إليها فهو كعابر طريق يرى واحة جميلة يستقر فيها لحظات لكن في نهاية المطاف لا مكان لديه في تلك الواحة .

أي بمعنى أدق أن هذه الواحة غريبة عن الشاعر وهو غريب عنها ، لا صلة روحية ولا جسدية بين الشاعر وبين الواحة والتي قد تعني (الحب) الأمل الضائع بالنسبة له .

يقول :

أبحر في زمن ماضٍ
ينبع من عينيك إلى ضجري
النور تعكر كالصمت بذاكرتي
والعالم مطبوع بربيع
ما كان بأكثر من ترحالي
لأحس بأني :
أفقد شيئاً ما .... لا أذكره
شيئاً ما .... أكبر مني
فأهاجر نحوه لا أدري
كم ستطول الرحلة
نحو المجهول[1]

تتجسد في هذه القصيدة صورة الرحلة والسفر وترك الوطن والأهل من قبل الشاعر ، فقوله (أبحر في زمنٍ ماضٍ ، ما كان بأكثر من ترحالي ، فأهاجر نحو لا أدري ، كم ستطول الرحلة نحو المجهول) فهنا صورة متحركة – مستمرة – غير ثابتة ولا مستقرة ، والمفردات تدل على حركة متواصلة وهي تعكس حال وواقع الشاعر المغترب الذي يبحث عن

(1) ديوان عبير المرايا : 30 .

ذاته لايجدها ، فهو في بحرٍ هائج مهاجر نحو مصير مجهول لا يعرفه ، ولا يعلم متى ترسو سفينة ذاته في بحر الأمان ليحس أنه في أرضه وبلده وبين أهله وأحبته ، ورحلة الشاعر ما زالت مستمرة نحو المجهول ومن أجل هدفٍ لا يعرفه بديل قوله : (كم ستطول الرحلة نحو المجهول).

ونراه قائلاً في صورة أخرى :

لك الليل فامضي أو ارحل
ستحمل كل انكسار الصفاء
الى حيث تأوي الشجون
فأن لبعض المياه التفات الهجير
وأن لبعض الهجير
هموماً سواك [1]

فصورة (امض أو أرحل ، ستحمل كل انكسار الصفاء ، التفات الهجير ، وأن لبعض الهجير هموماً سواك) صورة تتجسد فيها حركة دائمة متواصلة غير ثابتة وغير مستقرة ، وهي تمثل حركة الشاعر نفسه وهجرته من بلده (العراق) (لك الليل فامض أو ارحل) .

وهو قد هاجر واغترب عنه مكرهاً لاطوعاً كما أشرنا من قبل عند تحليلنا لقصائد الشاعر في الدراسة الموضوعية ، وبالرغم من هذه الرحلة التي شملت الكثير من البلدان العربية والأجنبية الاّ أنه لم يعرف الراحة والاستقرار بالرغم من كل ما وفر له من سبل العيش والراحة لأنه مرتبط بأمه الرؤوم (أرضه الطيبة التي لم ينس أيامه التي عاشها تحت كنفها) .

فهنا الصورة متجسدة بالرحلة الطويلة للشاعر الذي لايعلم متى تحط راحلته ويستقر .

وكأن الهموم والآلام هي السند الوحيد للشاعر أثناء رحلته اللامتناهية فرحيله غدا معادلاً موضوعياً .

ونراه قائلاً في هذا النص الشعري :

يوم أزمعت أن أسير وحيداً ما عناني متى يحين الوصول
اذ تماسكت حينما رحت أهوي والمدى عند كبوتي مذهول

(2) المصدر نفسه : 109 .

ما اعتراني من الليالي فحيح اذْ مشى بي من النهار صهيل[1]

فتبدو ملامح الصورة المتحركة في النص واضحة في قول الشاعر : (أنا أسير وحيداً متى يحين الوصول ، حينما رحت أهوي ، إذ مشى بي من النهار صهيل .

فقوله أنا أسير وحيداً ====> دلالة على أن الشاعر بات وحيداً فريداً في رحلته وسفره لايعلم متى يحين الوصول ، وهي بحد ذاتها صورة متحركة – متواصلة – تعود على الشاعر نفسه .

أما قوله : حينما رحت أهوي ====> فهنا الصورة تفيض بالحزن والضبابية وعدم ادراك الطريق الواضح ، وكأنه في دوامّة لايعرف كيفية الخروج منها .

وأما قوله : إذا مشى بي من النهار صهيل =====> فهو هنا يشبه حركته ومشيه بصاحب الصهيل (الفرس) المعروف بسرعة الجري ، وكأنه يقول لنا : أنا دائم الحركة والجري لا أعرف الثبات والاستقرار إذ يمكننا القول ان الشاعر صاحب صور شعرية فريدة في محاكاتها للواقع المؤلم الذي يمر به الشاعر ، وصاحب رؤى وأفكار يعرف كيف يعبر عنها بالصور الشعرية الرائدة الجميلة عبر القصائد الشعرية التي يكتبها والتي دائماً ماتكون انعكاساً لواقعه الذي يعيشه .

(1) رحلة الشمس والقمر : 9.

المبحث الأول : الموسيقى

تعد الموسيقى عاملاً مهماً في الشعر ، وهي من الأركان المهمة في البناء الشعري إذ أنها تقف وراء تذوق القاريء للنصوص الشعرية وتلمس جماليتها ، وترتبط موسيقى النص الشعري مع عناصره الأخرى ((وكان القدماء من علماء العربية لايرون الشعر أمراً جديداً يميزه عن النثر الاّ بما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي ، وكان قبلهم أرسطو في كتاب الشعر يرى ان الواقع الأساسي للشعر يرجع الى علتين أولهما غريزة المحاكاة أو التقليد ، والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم))[1].

والموسيقى كانت ولاتزال عنصراً بارزاً من عناصر الشعر ، ولها أثر في القصيدة لايقل عن أثر الصورة ، لأنها تسهم أسهاماً فاعلاً في إقامة بناء القصيدة وتوحيده ، بوصفها عنصراً من عناصر الأحياء لأن الشعر في حقيقته ((ليس الاّ كلاماً موسيقياً تنفعل بموسيقاه النفس وتتأثر به القلوب))[2]،ويرى الباحث ان الموسيقى ليس كلاماً بل كلام ومعنى ، وهي تلعب دوراً فاعلاً في استجابة أحاسيس وعواطف الأنسان للشعر .

إذ تعمل بصورة أو بأخرى على خلق توافق شعوري بين الموقف النفسي للشاعر وعالمه الخارجي[3]، حين تتعرض النفس الأنسانية الى حالات من القلق والاضطراب ، والانتظام وبالتالي تحدث تجاوباً مع الشعر .

من هنا كان للموسيقى أهمية كبيرة في السمو بمشاعر الشعراء والتعبير عن عواطفهم وانفعالاتهم وخلجاتهم ، وهي من أهم عناصر الإيحاء في النص الشعري ومن مقومات بنائهِ ، فهي تساعد على تحريك عاطفة المتلقي[4].

والتشكيل الموسيقي في مجمله خاضع خضوعاً مباشراً للحالة النفسية والشعورية التي يصدر عنها الشاعر[5].

---

(1) لغة الشعرعند الفرزدق ،رحمن غركان، رسالة ماجستير مطبوعةعلى الآلة الكاتبة، جامعة الكوفة ،1995م : 127

(2) موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، 1972م: 22.

(3) التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت (د– ت) : 64 .

(4) ينظر : حركة التجديد الشعري في المهجرين النظرية والتطبيق ، عبد الحكيم بلبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980م : 116 .

(5) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين اسماعيل ، ط3، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت 1981م :63.

وتنقسم الموسيقى الى موسيقى خارجية (وزن، قافية) ، وداخلية (تكرار ، جناس ، طباق ...) .

الموسيقى الخارجية :

تضم الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) .

الوزن :

الوزن هو ((كل شيء منظم التركيب منسجم الأجزاء يدرك المرء بسهولة سر توالي أجزائه وتركيبها خيراً مما يمكن أن يدرك المضطرب الأجزاء الخالي من النظام والانسجام)) [1].

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا بأن الوزن يحاكي العقل في معنى من معانيه ، كون العقل يحبب النظام والانسجام ، ويرفض اللانظام ، فالوزن ترتيب أشبه بالترتيب المنطقي للأشياء في وجه من وجوهه .

والكلام الموزون ((ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجيباً وذلك بما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع مانسمع من مقاطع لتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لاتنبؤ إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى)) [2].

والوزن لايحاكي فن الموسيقى فحسب ، بل هو يستمد فاعليته من أداة صياغته اللغة ، كونه ينبع من تآلف الكلمات في علاقات صوتية لاتنفصل عن العلاقات الدلالية والنحوية[3].

كما عن طريق الوزن تفرض الصورة ((صوتياً على الانتباه الذي قد ينهمك دون الوزن في معاني الألفاظ نفسها)) [4].

---

(1) موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس ، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1972م : 13.

(2) ينظر : موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس : 13 .

(3) ينظر : مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، جابر أحمد عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم 1982م : 375.

(4) وهج العنقاء ، دراسة فنية في شعر خليل الخوري ، ثامر خلف السوداني ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001م : 162.

وقد وردت في شعر الشاعر– موضوع الدراسة – أوزان لبحور متعددة نذكر منها (الرمل ، البسيط ، الطويل .....) ، فقد ورد بحر الرمل في مجموعات الشاعر الشعرية بنسبة (75%) لأنه جاء منسجماً مع نفسية الشاعر القلقة المضطربة فكانت أكثر قصائده على هذا البحر .

وردت في شعره قصائد كثيرة على (بحر الرمل) ، منها قوله :

ارجعيني نحو تاريخي الذي كان للدنيا ختاماً وابتداءْ
قد نسجنا فجره من سرمدٍ وتجاوزنا به حد الفناءْ
نحن مذ كنا خلقناه فلم تعرف الأرض سوانا غرباءْ
حدثي الأفراح تجتاز بنا في خضم الخوف أحداث القضاءْ
رسم الشوق على أعيننا بسمة ننطقها كيف نشاءْ [1]

وبحر الرمل سمي (رملاً) لأنه بحر حسن جيد تستريح اليه الآذان ، وتستمتع بموسيقاه ، وهو كثير الشيوع في الشعر[2]، وهو هنا جاء منسجماً ومتوافقاً مع وصف الشاعر لتاريخه الذي كله شجون وأحزان وآلام .

ويقول :

لحظة ياأيها الحزن الذي بك نمتاز على كل الشعوب
كيف قررت بأن تهجرنا بعد مافيك التقى شمل القلوب ؟
نحن بعض من حكايات مضتْ وأساطير على وشك الغروب
أيها الحزن انتظرنا لحظة نخلق الدنيا شموساً لاتغيب[3]

فهنا نرى كيف أن الموسيقى تنساب الى أذهاننا وتستمتع بها آذاننا .

كما ورد البحر (البسيط) في قوله :

مأواك قلبي وذاك البحر والأرقُ

(1) ديوان (عبير المرايا) : 24+ 25.

(2) ينظر : موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس: 85.

(3) ديوان عبير المرايا : 9.

يانفحة من بقايا الأمس تحترقُ

يالمحة من ليالي العنف ساطعة

كم شدني نحوها الحرمان والنزق

كوني حياتي وموتي عند رفتها

ما أجمل الموت في طياته الشبقُ[1]

والبحر البسيط سمي بسيطاً لاستيعابه لكثير من المعاني ، وهو بحر حسن جميل تميل اليه الأسماع ولا تنفر منه[2].

فأبيات الشاعر كثيفة المعنى ، وذات نغم موسيقي هادىء ، ومحببة للنفس ، ويقول في نفس الموضع :

بيني وبينك ليل طال من ضجرٍ

طول الصحاري إذا امتدت الى المطر

ليل من الصمت لاتخفيه بارقة

الاّ على نظرةٍ أقسى من الحجرِ[3]

أما البحر (الطويل) فورد في قوله :

أقلص فيك الشوق حتى أعيدهُ

الى افقٍ رحب يتيه على المدى

وأطلق همسي في مداك لعلني

أغالب صمتي أن يعود كما بدا[4]

فهو عمد الى استخدام هذا البحر كونه أقرب الى الأسلوب القصصي[5]، ولعل هذا الأسلوب استهوى شاعرنا كثيراً فنظم عليه بعض قصائدهِ .

(1) ديوان رؤية : 14

(2) ينظر : موسيقى الشعر : 72.

(3) صيف العطور الخرساء : 9.

(4) صيف العطور الخرساء : 8.

(5) ينظر : فن التقطيع الشعري ، صفاء خلوصي ، ط3 ، بيروت ، 1966م : 44.

كما ورد البحر (المتدارك) في قوله :

النسر القابع في صدري يتمطى
والبوم الهائم في عيني يستيقظ كلّ اللحظات
وكذلك أشياء أخرى لاأحصيها
تنبؤ أن الأبعاد اختلطت
لافصل ولاحدَّ كأني
أخشى أن أنظر حتى لا أجرح ثانية
ترجع بي للوهم وحيداً[1]

وهذه الصور والتحولات التي بثها الشاعر تكاد تكون منسجمة مع مرجعيات هذا البحر الذي يُحاكي وقع النسر ، أو البوم الهائم ، أو أشياء أخرى لاتحصى ، لكنهُ يحاكي ذاته وروحه القلقة المتوترة بسبب ألم الوحدة والغربة والحنين للوطن والأهل .

وورد البحر(الكامل) في قصائد منها :

مازلت في نفسي وفي وجداني حتى استعرت فصغت منك بياني
وزرعت في جمر الليالي ثورتي كي التقيك بسورة النيران
فمسحتي عن ظلي قساوة حيرة وقطفتي لي ندم الندى الوسنان
حتى تكللت الهواجس باللظى كالليل يلبس حلة الهيجان
أشكو الى لفح السراب تعطشي وأصد عن عذب الغدير الداني
وأشد في نبضي رؤاك وأنثني فتروح تهرب كالمدى الهيجان[2]

والشاعر استخدم البحر (الكامل) لأنه من (أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات)[3]، ولكون حياة الشاعر مليئة بالحركة والاضطراب بسبب عدم الاستقرار والعزلة والوحدة والبعد

(1) ديوان رحلة الشمس والقمر : 26.

(2) صيف العطور الخرساء : 3.

(3) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجذوب ، ط2 ، بيروت ، دار الفكر ، 1977: 246/1.

عن الأهل والأحبة فنجد أن هذا البحر جاء متناغماً مع رؤى وأفكار الشاعر وما تجيش به نفسه المتعبة ولكونه أكثر انسيابية وطواعية للنفس.

وقد ورد البحر (المتقارب) في قصائد الشاعر في قوله :

تدورين مانالك التعب سراعاً وسير الدّنا خبب
على الضعف لكن عدتك الحياة يضيق بك الناب والمخلب
تمادي فماذقت طعم الحنان ولم يحتضنك لصدرٍ أب !! [1]

فالبحر المتقارب معروف ببساطتهِ وسهولتهِ وهو من البحور التي تستريح اليه الآذان[2]، ولهذا نجد أن كلام الشاعر خفيف متناغم في ذهن القاريء.

وورد بحر (مجزوء الكامل) في قصائده منها :

لمهندٍ غنى الوتر أحلى القصائد والصور
الشمس تشرق باسمهِ وبه يسامرني القمر
هو سلوتي في عالمٍ حين الكآبةِ والضجر
ماقيمة الذهب المصفى واللآلي والــدرر
أني وجدتك واحتي من غدر دهري ان غدر[3]

بمعنى يلجأ اليه الشعراء كي يناغم اضطراباتهم النفسية فهذه القصيدة من دلالتها الاضطراب النفسي والقلق تجاه حقيقة الحياة فجاء هذا البحر مناغماً الحالة الشعورية للشاعر.

(1) رحلة الشمس والقمر : 85.

(2) موسيقى الشعر : 87.

(3) رحلة الشمس والقمر : 78.

القافية :

القافية عند الخليل هي (آخر حرف ساكن في البيت الشعري الى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن)[1].

وعرّفها الدكتور صفاء خلوصي بقوله : (هي مجموعة أصوات في آخر الشطر أو البيت وهي كالفاصلة يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة)[2].

غير أن الشعر المعاصر وماطرأ عليه من تغيير ، جعل القاريء لايتوقع هذا التكرار – كما ذهب اليه الدكتور صفاء خلوصي – فاللفظ في الشعر الحديث أصبح يقود التراكيب من (وزن ، قافية) وليس العكس ، ممّا أتاح ذلك مجالاً واسعاً أمام الشاعر الحديث كي يتحرك في فضاء شعري أوسع من ذي قبل ، ومن ثم فأن القافية أصبحت في الشعر الحديث متحررة من قيود الترتيب القديم[3].

وأخذت الموسيقى الخارجية بما تمثله من (وزن ، قافية) تتحدد وفق انفعالات الشاعر ، ولاتفرض عليه فرضاً[4].

غير أن القافية ظلت تشكل مع الوزن طرفي المعادلة في الموسيقى الشعرية[5].

وإن استطاع الشاعر أن يعوض هذا التشكيل الموسيقي ، بتشكيلات داخلية أخرى كتكراره لبعض الأدوات أو الكلمات داخل النص الشعري ، أو يلجأ الى استخدام أنواع جديدة من القوافي كـ (القوافي المتداخلة مثلاً) وهذا ماسندرسهُ ، فدراستنا شملت محورين الأول : دراسة القصائد التي أعتمدت القافية المتداخلة والمحور الثاني : دراسة القصائد التي أعتمدت القافية الموحدة.

---

(1) فضاء البيت الشعري ، عبد الجبار داود البصري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1996م : 97.

(2) فن التقطيع الشعري ، الدكتور صفاء خلوصي :215.

(3) ينظر : البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد ، حسن الغرفي ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989م : 56.

(4) ينظر : بلند الحيدري شاعراً ، نازه نين علي محمد (رسالة ماجستير) كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، 1989م : 150.

(5) شعر نازك الملائكة دراسة ايقاعية ، عبد الرحيم مردان رحيم شاهين (رسالة ماجستير) كلية التربية ، جامعة البصرة، 2002م : 52.

المحور الأول :

1– قصائد القافية المتداخلة :

وهي القصائد التي تتكرر فيها القافية على غير نسق محدد[1] ، ومن أمثلتها قول الشاعر :

فأنا أقرب منها الآن الى نفسي [2]
لكني والروح تهيم على عنوان الوقت
أنسى أني كنت بعيداً
أقرأ كل البسمات
وأرى باللطف جميع الهمسات
ياليلي
يامسمار الخوف بحائط أحلامي

فقد جاءت القصيدة معتمدة القافية (المنوعة المتداخلة)[3] فقد تداخلت كلمات القوافي فيما بينها الكلمات (نفسي ، الوقت ، بعيداً ، البسمات ، ياليلي ، أحلامي) .

فالشاعر عمد الى ايصال رسالته الى القاريء دون اعتماد طريقة موحدة . أو مفروضة فرضاً ، وهو في ذلك يسلك طريق الشاعر المعاصر الذي لم يعد يرى بأن الوزن والقافية من المستلزمات الرئيسة في صناعة النص الشعري[4]. ناظراً الى الهدف وهو ايصال المعنى الى ذهن المتلقي بغض النظر عن الطريقة التي يسلكها المبدع.

وفي قصيدة أخرى يقول :

ما أسهل أن نبني هذا الكون
أرض وسماء

(1) ينظر : سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى ، نازك الملائكة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993م:47.

(2) رحلة الشمس والقمر : 24.

(3) سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى ، نازك الملائكة :47.

(4) ينظر : دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، محسن اطيمش : 339.

مابينهما
قوس من سبعة ألوان
لا أكثر من هذا
أو ما أصعب أن ننسج كون القلب
ونراه
يبحث عن شيء أو لاشيء [1]

فالقوافي هي (الكون ، سماء ، الوان ، هذا ، القلب ، ونراه ، شي) فالقوافي بتداخلها وتنوعها فإنها لاتعني أن ارباكاً حصل في النص الشعري ، بل على العكس وجدنا المعنى جلياً في النص ، حتى مع تداخل القوافي ، وهنا يظهر لنا جليا براعة الشاعر في كيفية استخدام قوافيه .

ونراه قائلاً أيضاً :

لك وحدك
بسط الأفق الليالي
في مآقيه وغار
فهو إن تدركهُ عين
يلتبس فيه النهار
منذ ذاك العهد ينسابُ وحيداً
والمدى فيه يحار
كنت وحدك
في ضمير الحزن تصحو وأراني
لم ، يزل يقطعني عنك من الصمت جدار [2]

(1) رحلة الشمس والقمر : 41.

(2) رحلة الشمس والقمر : 36.

فالتداخل بين القوافي حصل وفق الكلمات (وغار ، نهار ، يحار ، جدار) . ومما تجدر الأشارة اليه أن المفردات التي اختارها الشاعر كانت متداخلة في وجه من وجوه الدلالة التي أراد الشاعر أن يدلنا عليها وهي دلالة ذاته ونفسه المتعبة القلقة .

ويقول أيضاً :

في الليل إذ ينحدر النسيم
يذوب في عينيك لون قريتي
الأصيل
ويستفيق حلمها القديم
فارسك الحبيب عاد يحمل
الإكليل
الشمس في جبينه
وفي عيونه الرحيل
منتشياً بنصره
وباغترابه قتيل
تما يلي
كموجة تهيم بالسواحل
تمايلي
فساعدي يلفُّ شعرك
الحرير
تعلقي بساعدي
تعلق الجبال بالغيوم
وأومضي بخاطري
توهج الشرار
بالنسيم [1]

(1) رحلة الشمس والقمر : 91 + 92.

فالقوافي هي (النسيم ، الأصيل ، القديم ، الأكليل ، الرحيل ، تهيم ، الحرير ، الغيوم ، النسيم) . فالقافية جاءت على نسق جميل محبب للنفس بحيث من يقرأ الأبيات يحس كأنه عاش مايريد الشاعر أن يوصله الى المتلقي وهذا هو الهدف والمغزى .

المحور الثاني :

2- قصائد القافية الموحدة :

من أبرز القوافي التي جاءت في شعر الشاعر قافية (اللام ، الباء ، القاف ، النون ، الراء ، ...) .

ومن أمثلتها نراه يقول :

من أين يبتدأ النزيف هطولا ومتى تحط من العزاء رحيلا
غضب تقاسمه القتام وصرخة فعتا يدك رواسياً وسهولا
غضب تحمل وزرنا متململاً ثم استشاط فصعد التنكيلا
هانت عليك بأن تغادر قمة فسلكت نحو الدانيات سبيلا
يامركباً ذلت له فرسانه ماكان يوماً للركوب ذلولا
إني التجأتُ اليك أحمل خطأتي أترى الذي يدنو اليك دخيلا
تجري لمنحدرٍ وما نرضى سوى قدر تربع في النجوم مقيلا
إنا سنسبح ضد زحفك مرغماً أبت الرجولة أن نكون ذيولا [1]

فمن يتتبع القصيدة يجد القافية تأتي وفق نسق موحد وثابت ، فحرف الروي واضح في القصيدة ، وهو (اللام) .

ولنقتطف مقطعاً آخر يقول فيه :

خفيف الضوء من شجن يذوب فتنثره النسائم والطيوب
تلوذ الشمس بالشطين ظمأى فيحدوها على عجل مغيب
كأن النهر غربتك أحتوته فمنها المدّ إن حلّ النضوب

(1) رحلة الشمس والقمر : 100.

وينساب الخرير على هداه لتهفو عند نغمته القلوب
سويعات يجللها ذهول يشيب لها الزمان وما تشيب[1]

فجاء (الباء) حرفاً ثابتاً في القصيدة ممثلاً قافيتها الموحدة .

ويقول أيضاً معتمداً القافية الثابتة الموحدة :

لاتمسحن عن الأحزان غربتها فقد يعود بها للغربة الشفق
حيث الظلال عطور في تفتقها تغزو القلوب فلا حرٌّ ولاحرقُ[2]

ونراه يقول أيضاً :

محنة النور أن يكون مرايا مطرقاتٍ لما يقول السكون
يختزلن الظلام بين الخطايا حتى يلمعن إذ تنام الضنون[3]

ويقول :

عاصف زاده مطر كان سبّاقة النذر
كلما لاح بارق ما تأنى وما انتظر
لحظة مثلما أتت يختفي بعدها الأثر
لهب النار يستعر أين من زحفه المفر ؟
عالم حده المنى يتخطى الى سقر
ظلّ يهوي به الطنى دون رؤيا لمنحدر[4]

فجاءت القصيدة معتمدة (الراء) قافية لها معتمداً الشاعر على ثبات القافية وتوحدها متسلسلاً مع القاريء وفق نسق موسيقي موحد .

(1) عبير المرايا : 87.

(2) المصدر نفسه : 51.

(3) صيف العطور الخرساء : 70.

(4) رحلة الشمس والقمر : 99.

ونراه قائلاً :

زماناً .... ملء خطوتنا الطريق
وفارقنا الى أمرٍ صديق
عيون شاخصاتٌ دون رؤيا
لكابوسٍ أناخ .... فلا يفيق
تعقدت الطيوف على رموشي
فيهوي إن سما حلمٌ طليق[1]

فجاءت (القاف) حرفاً ثابتاً في القصيدة ممثلاً قافيتها الموحدة ويقول :

عادت خطيئتنا يندى بها القدم
لايغسل الرجس الاّ أن يسيل دم
وبذرة الزمن المنسي تجمعنا
وترسم الخطو إن همت بنا قدم
إن الخطيئة ألقتنا على مضضٍ
وقد تخلق في ذراتنا العدم[2]

فجاءت القصيدة معتمدة (الميم) قافية موحدة لها على وفق نسق محدد وثابت .

الموسيقى الداخلية :

الموسيقى الداخلية هي (الأنسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حيناً ، أو بين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر)[3].

(1) رؤية : 4.

(2) رحلة الشمس والقمر : 17.

(3) ينظر : شعر مجيد الموسوي – دراسة المضامين والبنى الجمالية ، هيثم كاظم صالح : 121.

وتوقف الباحث في دراسته للموسيقى الداخلية عند نقطتين الأولى (التكرار) والثانية (الجناس ، الطباق) ، فالتكرار يدخل كأسلوب فنيا في بناء الموسيقى الداخلية للنص وكذلك الجناس والطباق .

التكرار :

التكرار ظاهرة أعتمدها كثير من الشعراء في قصائدهم ، معلنين من خلالها مدى الأهتمام الذي يعيرونه للفظ المكرر ، كما أن اسلوب التكرار (يحتوي على كل مايتضمنه أي أسلوب آخر من امكانيات تعبيرية .....(و) يستطيع أن يغني المعنى ويرفعهُ الى مرتبة الأصالة[1].

والتكرار لم يعد اسلوباً مقحماً في النص ، بل تعددت دلالاته لتشمل جوانب جمالية في النص الأدبي ، فضلاً عن دوره الايقاعي في النص وماتتركهُ المفردة المكررة من وقع في نفس المتلقي.

وأسلوب التكرار من أغراضه الرئيسة هو تقوية ناحية الإنشاء في النص[2]. وعن طريق التكرار يحاول الشاعر أن يغني موسيقاه الداخلية ، حين يلجأ الى تكوين تجمعات صوتية متماثلة أو متجانسة [3].

كما يلعب اسلوب التكرار دوراً مهماً في طبع الصورة في ذهن المتلقي ، ولفت الأنظار الى ضرورة تأويل وتقليب معاني تلك الصورة على وجوه عدة[4].

وشاعرنا أمتاز شعره بكثرة التكرار موزعاً هذا الأسلوب بين تكرار (الحرف ، الكلمة) .

تكرار الحرف :

لجأ الشاعر الى تكرار أحرف بعينها في النص الشعري ، بدافع شعوري نفسي معززاً بذلك الأيقاع الداخلي للنص ، فنلحظه مثلاً مكرراً حرف (الياء) في قوله :

تغنين نم نم صغيري

---

(1) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : 23.

(2) ينظر : المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج2 ، طح ، دار الفكر ، بيروت ، 1970م : 495.

(3) ينظر : دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، محسن اطيمش : 324.

(4) ينظر : لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسي ، ط1 ، دار القلم ، بيروت ، 1982م : 180.

بعيد صباح الرحيل
سيثقل رأسي الكرى حدثيني
حين أريد الخروج اتركيني
فأنت الرياح
وأنت الجراح
وظلّ براقي بآخر خيط المدى
علق سيفي بأرضٍ بعيدة[1]

فقد جاء حرف (الياء) مكرراً (19) مرة في النص مما أضفى ذلك جواً موسيقياً أثر بصورةٍ مباشرة على السمع .

ويقول في قصيدةٍ أخرى مكرراً حرف (التاء):

أنا معك
تتبعني لأتبعك
وقفت في مطالعك
قافية لن تسعك
وليلتي سنبلة
خضراء تخفي هلعك
فكيف لايقطعني
عنك ضباب قطعك ؟[2]

فنلحظ كيف أن حرف (التاء) مثلاً تكرر مراتٍ عدة تصل الى (9) مرات في القصيدة ، وكذلك تكرار غيره من الحروف كـ (التاء ، اللام ، العين ....) فأضفى هذا التكرار ايقاعاً خاصاً وداخلياً في النص.

ونراه مكرراً حرف (الميم) :

(1) رحلة الشمس والقمر : 94.

(2) عبير المرايا :74.

أطيفك حلّ مرتعباً
يلفّ الأرض والحقبا ؟
ويجمع نشوة عجلى
لأمرٍ كان منقلبا
أعاند فيه أزمنتي
وقد طاوعته فأبى
أغالب فيه أشواقي
لأقطع بينه السببا
فيرشف حزن ضمأي
ويغدو الصحو ملتهبا[1]

فقد تكرر حرف (الميم) (7) مرات وكرر أحرفاً أخرى مثل (الباء ، القاف ،....) مّما لعب هذا التكرار دوراً فاعلاً في خلق الموسيقى الداخلية للنص .

كما تكرر حرف (الحاء) في قوله :

القيثارة جنبي حوتٌ هادي
قد أطعم ناب الصمت ضميري
لكنّي
أنسى كيف أغني
أتعلم أطرافي في وقتٍ متأخر
ساعاتي تنتشل البحر من الوحدة
والحوت الهاديء يعرفني
من صمتي
الماء تجاهلني منذ أذعت الاسرار والحقت الرغبة
بالأوجه حيناً
والحاضر يوماً [2]

(1) رؤية :28.

فقد تكرر حرف الحاء (7) مرات مما أضفى بتكراره جواً موسيقياً للنص الشعري ، رابطاً هذا الحرف بين أشطر النص بتكراره .

تكرار الكلمة

عمد الشاعر الى تكرار كلمة بعينها في أكثر من موضع ناظراً في ذلك الى تأثير التكرار في قصائده ، نأخذ قوله :

من بين الرؤيا والصمت
تمضغ عن بعد شرفة قلبي النظرات
إن أصمت فالعالم لي وحدي
أو أنثر أحزاني أشواقاً تحفر في الأرض نبوءات عن قلبي
والماء وبعض الخوف من الأسماء وتلك الرائعة المدعوة لبنى
أو ليلى أو سلمى والمجهولة لي
هو ذا صمتي يعرفني[1]

فاتكأ الشاعر في تكراره على كلمة (الصمت) وجاءت هذه المفردة ذات أفكار ورؤى وتساؤل للشاعر نفسه يطرحها للمتلقي ، وناظراً في دلالة واقعة في تأثيرها على السمع – وكما قلنا سابقاً – أن هذه المفردة كان لها حصة كبيرة من مجموعات الشاعر الشعرية فقد تكررت في مواضع كثيرة جداً وهي كل موضع وردت أكثر من مرة .

فنراه يقول في نص آخر :

الخوف صقيع النفس
قالت لي خاطرتي التعبى أن أسكن صمت الليل
ولأن الصمت عميق
ولأن الصمت تاريخ الحزن وعنوان الأفكار
ولكون الصمت وعاء العالم
فماحدّ الحزن وقد كان الصمت مفاتيح الغيب
الآن انقلب الصمت غريباً

(2) صيف العطور الخرساء :43.

(1) رحلة الشمس والقمر : 19.

وغزا واحته الأحياء

منذ سنين[1]

فجاءت مفردة (الصمت) مضيفة دلالة معينة على القصيدة ، كما أنها لم تجيء مقحمة في النص ولامشوهة لمعناه ، بل جاءت وفق عناية ودراية من قبل الشاعر ، وضمن اطار رسمه الشاعر لتؤثر في السمع .

ويقول في قصيدة أخرى نراه مكرراً مفردة الخصم :

خاصمني أخرج من صوتك يوماً

خاصمني أدخل في رؤيتك الأخرى

خاصمني أخرج من عينك يوماً

خاصمني أدخل في نبرتك الأخرى

خاصمني فيك فلوني

رائحة فيك تواري[2]

فجاءت مفردة (الخصم) وقد انتقل بها من معنى لآخر ، ليوصلها الى مستوى عال قاصداً من خلال تكراره لها التأثير الأيقاعي في الذهن كما كرر الشاعر مفردة (القلب) في قصيدته (اختلاف الفصول) معرفاً المفردة تارةً ، ونافياً لها تارة أخرى وهو هنا يشير الى حياته .

يشع بعينيك عطر الغموض

فيدركه القلب نبعاً

تفرد فيه الهجير

فكان القلب اخضرار الفصول

فكيف تضيع المسافات في

واحة القلب بعد التداني ؟

ولّما يلف حرير الأسى بعد لحناً

(2) رحلة الشمس والقمر : 23+ 24.

(1) صيف العطور الخرساء : 28.

سيهجر قلبي
الى حيث يغفو هناك
على جرف نبعٍ
يسمى
اختلاف الفصول[1]

فالشاعر كرر مفردة (القلب) وهو هنا له بعد دلالي يرسم لنا الشاعر هذا البعد من خلال التأثير الإيقاعي في الذهن .

الجناس :

يعد الجناس من الأساليب الأخرى التي استعملها الشاعر إثراءاً لموسيقى النص الداخلية ، و(الجناس) هو ((أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها))[2] .

ويكثر في شعره الجناس غير التام ومن أمثلته قوله :

هل تعرف أني أكره كل الأصوات
أنفر من زمني
أسقط في كلّ الأوقات[3]

فقد جاء الجناس غير التام بين المفردتين (أصوات ، أوقات) ، والأختلاف وقع في حرفين وهو (الصاد ، والواو) في كلمة (صوت) ، و(الواو ، والقاف) في (صمت) غير أن الموسيقى الداخلية بدت واضحة من خلال جناس المفردتين مع اختلاف الدلالة بين المفردتين – يقول :

الماء وما يحملهُ
لايعرفني من صوتي

(1) عبير المرايا : 28.
(2) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبي هلال العسكري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986م : 321 .
(3) صيف العطور الخرساء : 33 .

بل يعرفني من صمتي[1]

فجاء الجناس غير التام بين المفردتين (صوتي ، صمتي) ، والأختلاف وقع في حرفٍ واحد وهو (الواو) في كلمة (صوت) ، والميم في كلمة (صمت) ، إلاّ إن الموسيقى الداخلية واضحة من خلال جناس المفردتين مع اختلاف المعنى بينهما – ونراه قائلاً :

قلبي
ينساب وحيداً قبلي
حتى يلقاك بعيداً من دوني
فأنا مسكون بشكوكي وظنوني[2]

فمفردتي (قلبي ؟، قبلي) جاءتا متقاربتين من ناحية الأصوات ، غيرّ أن صوتاً واحداً جاء مختلفاً بينهما وهو (اللام) في كلمة (قلبي) ، و(الباء) في كلمة (قبلي) ، مما جعل من الجناس غير تام مع فارق المعنى بينهما .

الطباق :

هو (الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من ابيات القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار والحر والبرد)[3] ، وتطابق الألفاظ وتضادها ينشيء جواً موسيقياً داخلياً في النص الشعري ، ممّا يؤثر ذلك في سمع المتلقي ، لما يخالفه التطابق من تناغم إيقاعي داخلي ، والطباق كفن يلازم فن الجناس ، فيندر أن يستطيع الشاعر التفريق بينهما[4] ، وفي دراستنا لشعره سنقف عند الطباق وبنوعيه (طباق الإيجاب ، والسلب) ، ومن القصائد التي ورد فيها طباق الإيجاب

قوله :

(4) صيف العطور الخرساء : 43 .

(1) رحلة الشمس والقمر : 35 .

(2) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : 307 ، وينظر : معجم البلاغة العربية ، (د . ت) : 447 .

(3) ينظر : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، مزهر السوداني دار الرشيد للنشر ، 1980م : 332 .

ولأنت الأول والعاشر

تتخاصم فيك الأشياء

الأبيض والأسود

والحب يساوي كرهها[1]

فجاء اللون بتضاده حاملاً معنى طباق الأيجاب ، فكان لون البياض بالضد من السواد، مما يعني اشتغال النص بتضادية اللون ، مضفياً هذا التطابق على النص ايقاعاً خاصاً أغنى فيه النص ، ولعل لذلك دلالة تمت الى نفس الشاعر بصلة وكيف ان الأشياء أخذت تتصارع في خلجات نفسه ، كذلك جاء طباق الأيجاب في (الحب والكره) .

ونراه قائلاً في نص آخر :

ما أبعد الأشياء ياسيدتي

لقربها الشديد

ما أبعد العاشق عن عينيه والفوائد

كم غيّر أسمه وبدلّ الدّروب

وحول الليل الى قصيدة

وامتشق النهار[2]

فالطباق جاء في اللفظتين (ليل ، نهار ، البعد ، القرب) فهذه المفردات بما تحمل من معاني التضاد أضفت جواً موسيقياً داخلياً خلقه الشاعر دون تكلف أو تصنع بل جاءت الألفاظ بسلاسة ويسر ، ويمكننا القول أنها تبادلات ثنائية تعكس لنا براعة الشاعر .

ويقول أيضاً :

إقتلني إن شئت حياتي

فقديماً قالوا :

في الموت حياة[3]

---

(1) صيف العطور الخرساء : 27 .

(2) رحلة الشمس والقمر : 14 .

(3) صيف العطور الخرساء : 27 .

فالطباق حصل في المفردتين (موت ، حياة) ، وهنا استخدم الشاعر التبادل الثنائي بين (الموت والحياة) ودلالة كل واحد منهما في النص .

وقد جاء استخدامه لطباق السلب في بعض القصائد ، وهي قليلة قياساً بقصائد الإيجاب ، فنراه قائلاً في ذلك :

أراك
وقد لا أراك
اذا جئت يوماً
وخوفي يعانق ظلاً سواك
فأني سأخفي اشتياقي
على الجمر يخدش صمتي المياه
وأقفو خطاك[1]

فجاء الطباق في قوله : (أراك ، لا أراك) فهو يؤكد رؤيته أولاً ونافياً له ثانياً مما أضفى جوّاً ايقاعياً داخلياً في النص جاء عن طريق تطابق المفردتين .

ويقول في قصيدة أخرى :

أعرفها تلك الفاتنة الحسناء
تهواني
أو
تكرهني
وفق الرقة واللون بعينيها
فأصير بفعل السحر الأخضر شيئاً
لا أعرفه[2]

فالطباق حصل في قولهِ (أعرف ، لا أعرف) بمعنى بين النفي والإثبات .

(1) رحلة الشمس والقمر : 14 .

(2) المصدر نفسه : 33 .

المبحث الثاني : بناء القصيدة

يُعد بناء القصيدة من ميزات الشعر ، والتي ربما تميزه من غيره من عوالم الإبداع الأخرى – فالشاعر حين يقدم نتاجه الشعري يحرص على أن يكون تقديماً متقناً ، فالشعر رسالة ، يهدف الشاعر من خلالها توصيل هدف معين للقاريء (المتلقي) .

والقصيدة المتميزة هي القصيدة التي تتسلسل مع القاريء في الفكرة ، والصورة ، والخيال ، والمغزى أو الهدف .... ولا تعطي القاريء من الوهلة الأولى كل أهدافها لتظل خائضة في النهاية بما ينفر منه المتلقي ، بل لعل التدرج في ايصال المعنى من الأوليات عند الشعراء ، والقصيدة الجيدة هي أشبه بالكائن الحي، بعيدة عن البناء الجامد، أو الثابت[1].

والبناء في العمل الأدبي يعبر عن عالم صاحبه ، وكونه الشعري ، بمعنى يكون البناء عادة مرتبطاً بعالم الشاعر ، ومعبراً عن هواجسه الذاتية[2].

وفي دراستنا للبناء عند الشاعر سنقف عند مكونات البناء من: (عنوانات ، مستهلات ،الوحدة العضوية ، الخاتمة في القصائد).

العنوانات :

يعد العنوان رأس الهرم في العمل الأدبي ولايستغنى عنه ، وهو في (النص الأدبي ليس كالإعلان لمنتج ما وإنما هو استدعاء للمتلقي أوالقاريء للولوج في حرارة ونبرات النص – والعنوان له طاقة موجهة من الإكراه الأدبي ويرمي بالتالي الى اخضاع المخاطب)[3]، ويشتق العنوان من صلب العمل الأدبي وليس خارجاً أو مقحماً عليهِ، ويكون مدخلاً لتحليل النص الأدبي ، فلن يفهم العنوان (منقطعاً عن نصه ، ولا تدرك أشاراته الاّ عبر العلاقة بينهما)[4] فيدخل العنوان ضمن تشكيلة النص الأدبي ويُعد (عنصراً نصياً موازياً يُراد به التعيين والإيحاء والإغراء)[1].

---

(1) ينظر : دراسات بلاغية ونقدية ، أحمد مطلوب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1980م: 554 .

(2) ينظر مستقبل الشعر وقضايا نقدية ، الدكتور عناد غزوان ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، بغداد ، 1990م : 120.

(3) الخطاب في الشعر ، محمد منال عبد اللطيف ، ط1 ، دارالبركة ، عمان ، 2003م : 265.

أما شاعرنا قصي الشيخ عسكر– فقد كانت مجاميعه الشعرية متميزة بدلالات العنوان وإيحائه كما طغى استخدامه للعناوين المكونة من كلمة على عناوينه المكونة من (كلمتين أو ثلاث كلمات) .

ومن أمثلة قصائدة التي تحمل عنواناً مكوناً من كلمة :

(الوطن ، بغداد ، البصرة ، انتظار ، رحلة ، ضباب ، وحدة ، تساؤل ، حيرة ، هموم ، غربة ، طريق ، عتمة ، صمت ، حزن ، تأمل ، غرباء ، حنين ، ذكرى ، عودة ، أمل ، مدينتي ، رؤية ، عزلة ، بحر ، غموض ، ترحال ، هرب ، فجر) .

وبوقفة سريعة وبتأمل عند هذه العناوين ، انما يستدل القاريء من خلالها على دلالات متنوعة ،يقف السؤال الباعث للقلق على رأس تلك الدلالات ، والاّ ما معنى (وطن ، انتظار ، رحلة ، تساؤل ، غربة ، حنين ، صمت ، حزن ، أمل ، عودة ، عزلة ، ذكرى ، .....) ، وهل توحي دلالاتها بغير ماذكرناه من روح الشاعر القلقة المضطربة الحزينة التي غدت باحثة عن الأمان والاستقرار ، والركون الى اجابة تفض هذا العزف الذي أمسى منفرداً ، ورحيل غدا مستبداً بما حوله من كائنات .

ومن عناوينه التي حملت كلمتين نذكر منها :

(مملكة الصمت ، غابة الأحلام ، العطور الخرساء ، اختلاف الفصول ، احتضار اللهيب ، جزر الخيال ، ظلال الصمت ، قافلة الأبعاد ، القلق الوردي ، قدر الحياة ، مأوى الشجون ، دقائق العطش) .

أما عناوينه المكونة من ثلاث كلمات منها (رحلة الشمس والقمر ، سيدة الظل والنور ، اليك الحزن أقرب ، هُم لي وحدي ، ترنيمة الخوف والأمان) .

وهكذا أمست عناوينه سمة تدل على الحرمان والشكوى ، فهي كما عند غيره من الشعراء توحي بدلالات الغربة والنفي في وطنه)[2].

---

(1) ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب (الموسوعة الصغيرة) ع(396) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1995م :9 .

(2) ينظر : شعر مجيد الموسوي – دراسة في المضامين والبنى الجمالية ، هيثم كاظم صالح :132 .

فالعنوان أمسى مكوناً دلالات معينة وإيحاءات خاصة حول النص قبل الخوض في أجزاء النص الأبداعي[1].

فنأخذ مثلاً على ترابط العنوان وايحائه للنص قصيدة (غرباء) .

لاتقولي كان عهداً وانقضى — قد يكون الهجر أحياناً لقاء
انه الحزن بعينيك ارتمى — وصحا في ذات يوم كبرياء
المسافات له أغنية — سكرت منها أحاديث الشتاء
كم عشقناه نعيماً دائماً — خير ماجادت به كف العراء
فإذا للشوق ظل دائم — هام فيه الليل من دون انتهاء
قد نسجنا فجره من سرمدٍ — وتجاوزنا به حد الفناء
نحن مذ كنا خلقناه فلم — تعرف الأرض سوانا غرباء [2]

فقد جاء العنوان مفتاحاً للقصيدة ومطابقاً اياها تطابقاً أشبه بالكلي ، فالقاري بمجرد أن يقف عند العنوان تتبادر الى ذهنه ايحاءات الوحدة ، والعزلة ، والغربة ، والنفي في عالم يضج بكائنات متفرقة فيتدرج الشاعر مع القاريء ليدله على ألم العزلة والوحدة .

وليس بالضرورة أن يتحدث الشاعرعن الغربة بما تعنيه من الهجرة خارج الوطن ، لكنه استخدم اللفظ مجازاً للتعبير عن غربة النفس وغربة الروح .

فهو غريب داخل وطنه وخارجه ، فالغربة بكل ماتحمل من دلالة ومعنى هي واحدة في الداخل أم في الخارج ، وبالتالي فإن عنوان القصيدة جاء مطابقاً لمضمون القصيدة ، لتجيء نهاية القصيدة متوهجة نحو عنوانها ودلالته ليقول :

نحن منذ كنا خلقناه فلم — تعرف الأرض سوانا غرباء

فكان العنوان دلالة للنص الشعري ، ويكاد يتطابق معه كلياً .

---

(1) ينظر : شعر رشدي العامل ، دراسة تحليلية فنية ، صدام فهد الأسدي ، رسالة ماجستير – كلية التربية – جامعة البصرة ، 1995م : 138.

(2) ينظر : القصيدة القصيرة في الشعر العراقي المعاصر – الحر – دراسة موضوعية وفنية – ايناس عبد الكريم رمضان الحميري (رسالة ماجستير) كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2002م : 47 .

(3) عبير المرايا : 25.

المستهلات :

تعد المستهلات أبواباً لولوج عالم النص الداخلي ، وكلما اتسمت القصائد بمستهلات متينة ، أضفى ذلك على المتن قراءة متأنية ، وانشداد القاريء كنتيجة للبداية القوية ، والمستهل في القصيدة ليس (عنصراً ملصقاً بالقصيدة ، وإنما هو جزء من كيان عضوي كلي يخضع لمنطلقات القصيدة الكلية ولبنيتها)[1].

أما المستهلات في القصيدة القصيرة وكذلك الغنائية فقد تحولت الى(كلمة واحدة أو صورة ، أو استعارة)[2].

وهذا ما وجدناه في شعر (قصي الشيخ عسكر) فأحياناً يصادفنا مستهل يبدأه الشاعر بكلمة واحدة ، وقد وقف الباحث عند أبرز مستهلات الشاعر المتنوعة معنوناً تلك المستهلات بعناوين تمت اليها بصلة مثلاً :

المستهل الآني :

وهو الذي يتضمن ذكر كلمة (الآن) في مستهل القصيدة ، والتي يفاجئنا بها ، وكأنه يقف أمام القاريء ليحدثه مباشرة ، ليقول :

الآن
الرؤيا انقلبت
ماكان من الأشجار صدى
كالمد يقاسمني : حزني
يفصلني عن قلبي ويبارك
كل الخلجات
ربّ مسافات تخبو
ربّ فؤادٍ

(1) الأستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين النصير ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993م : 56.

(2) المصدر نفسه : 71 .

يجمع كل سراب العالم عشقاً[1]

فالشاعر استهل قصيدته بكلمة الآن دالاً بعد ذلك على مايدور في خلجات نفسه القلقة من تساؤلات وأفكار ورؤى .

ويقول في قصيدة أخرى :

الآن
انطلق الحزن وحيداً
من ممكنه
يترقب وجه الدينار
كل الأشياء تعرت له
وتراكمت الرؤيا[2]

فيمكننا القول : أن حياة الشاعر أصبحت أسيرة الحزن لأنه يتكلم عن ذاته ومشاعره فصاحب الشيء أدرى من غيره وكأنما أصبح كل شيء واضحاً ويقيناً للشاعر من أن الحزن هو الرفيق والصديق له في حياتهِ.

ويقول :

الآن
ارتحلت عيناي الى شفقٍ
لايأسرهُ
الحزن[3]

فجاءت كلمة (الآن) مرجعية لدلالات متنوعة ، منها آنية الرحيل ، ومستعيراً الشاعر للشفق ، والحزن ، مشاعر وأحاسيس أضفاها من نفسه عليها كي يحقق وقوفه عليها ، وكأنه يريد اخبار الوجود شيئاً وهو أن (الحزن) أصبح كيان الشاعر وهمه الأول، و(الآن) تعني

(1) عبير المرايا : 47 .
(2) المصدر نفسه : 52 .
(3) ترنيمة من زمن التكوين : 33 .

الأنتباه والإصغاء لدى المتلقي وهي اشارة من الشاعر للتنبيه الآني الدال على استمرارية الضياع والحيرة .

فنراه قائلاً :

الآن
كلما أبصرت
يأتي النهر بآلاف الغرقى منذ عهود
يدفنهم في بحر الأوهام بصمتٍ [1]

كما استخدم الشاعر (المستهل الحواري) الذي يقول فيه جاعلاً من الحوار باباً يطرقه في محاورته للأشياء فنراه قائلاً :

قال القلب :
العشق سراب
قلت :
الرؤيا تدرك أحلامي
فالقيد أذا آخى القلب
أصبح أمضى من عطش الأشياء
وكذلك يعبر قلبي
بالقيد الى الآفاق
ربّ سرابٍ
يملؤني أفقاً
لكنه ينسى
حين يحط على القلب يأتي
قبل اللحظة هذي
كنت القيد وكان الخوف
قال القلب :

(1) ترنيمة من زمن التكوين : 15 .

بأن لا أوقف شوقي

قلت : الرؤيا انتبذت حزناً [1]

فالشاعر يجري حواراً مع القلب ، جاعلاً منه دليله في الحياة يحاوره كيفما يشاء ، كما ابتدأ امرؤ القيس قائلاً (قفا نبك) وهو يحاور قلبه ويأمره بالتوقف فليس معه سوى القلب يناجيه ويحاكيه همومه وآلامه وأحزانه . ويقول :

تقول النجمة للنهر

بعيد

أنت سأنزل فيك ولاتدري

فإذا صرت يبابا

وسكونا

تدخل فيّ سوى إني أدري [2]

فهو هنا يجري حواراً بين النجمة والنهر ليعكس لنا حاله وواقعه عبر هذا الحوار ومايجول في فكرهِ وكلمة النجمة تدل على العلو والأرتفاع . ويقول مستخدماً (المستهل الحواري) :

قيل لكل الأشياء نهاية

وأنا مازلت أواري

زمناً تبدأ فيه الأشياء [3]

وقد ورد (المستهل الأشاري) في بعض قصائد الشاعر فنراه يقول :

هكذا القاك دوماً

غيمة

ترشق عيني بالضياء

---

(1) عبير المرايا : 47 .

(2) المصدر نفسه : 62 .

(3) ترنيمة من زمن التكوين : 1 .

حينما تحجب عني
لغة النور المباح[1]

كذلك وجدنا في شعره المستهل (الوصفي) حين يقول :

ملقى أنا على الرصيف
آخر ما أذكره
أنك قد لوحت لي
فاختنقت عيناي بالمشاة
ومثلما
تغادر السجائر المحترقة
حفرتها
على أناملي ، أغادر الرصيف
مخلفاً
غيبوبتي على الوجوه[2]

فهو في مستهله هذا يصف لنا حاله وهو مغادر وطنه وأرضه وهو مغصوب في سفره وفي تركه الأهل والأحبة .

وهو هنا يأخذنا في مشهد حزين لاتتحمل رؤيته العيون الاّ بذرف الدموع ، وهو كيف يترك بلده من هام به حباً وهو مجبر بأن يتركه ويرحل عنه من دون رجعه ، فتراه شاحباً مصفراً حزيناً كالسجائر المحترقة التي لاتخلف الاّ الصفرة .

وحدة الموضوع :

(1) رحلة الشمس والقمر : 42 .

(2) المصدر نفسه : 32 .

هي (وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى الخاتمة)[1].

فالوحدة الشعورية والوحدة العضوية تؤدي في النتيجة الى التجديد في المعاني[2].هكذا تلعب الوحدة العضوية في النص الإبداعي دور المكون الأساس في جزئيات ذلك النص ، وإن تخلخلت الوحدة العضوية أو ضعفت أدى ذلك بالنص الى الركاكة والضعف .

والقصيدة الجيدة هي ماتمثل ((حركة تركيب وتحليل لاتقبل التموضع))[3].

كما تقدم الوحدة العضوية في النص الشعري فهماً متكاملاً للقاريء ، ومن دونها قد لايصل المعنى الى الذهن[4]، ونعتقد بأن التركيب المتقن في النص هو مايجمع التشتت الحاصل في ذهن المتلقي .

ونحن حيث نأتي على شعر (قصي الشيخ عسكر) نجده يمتاز بوحدة المشاعر والوحدة العضوية في كثير من قصائده ، فتصب في هدف محدد رسمه الشاعر لاشعورياً لأستمرارية الكتابة .

ونحن في دراستنا للوحدة العضوية ، لايمكننا الوقوف عند كل قصيدة بالدراسة والتحليل ، وإنما سنختار أنموذجاً لنوضح ترابط الوحدة العضوية فيه .

نأخذ قصيدة (حصار) التي كتبها الشاعر وهو في البصرة الفيحاء عام1970م ، والتي تمثل براعة الشاعر في كتابة نصوصه الشعرية ، واختياره للموضوع ، وترابط الأفكار ، والمشاعر فيها حين يقول :

عن ماذا أكتب؟
من أين سأبدأ
أأكتب عن وجهٍ طالعه الحزن من المغرب
حتى سور الصين

---

(1) النقد الأدبي الحديث ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، ودار العودة ، بيروت ، 1973م : 394 .

(2) رحلة الشمس والقمر : 32 .

(3) وهم الحدس الشعر في عصر العلم ، د. مالك يوسف المطلبي (الموسوعة الصغيرة) ، دار الشؤون الثقافية العامّة ، بغداد ، 2003م : 89.

(4) ينظر : شعر التفعيلة والتراث ، د. نعمان القاضي ، دار الثقافة والنشر ، القاهرة ، 1977م: 43.

وأناجي قمراً

يدخل من كوات السجن

يُسامر كل المظلومين

الرؤيا غامت

وانقلبت تجذبني للحزن

فتزهر في شفتي أغنية مطلعها :

يا وجه الله الغاضب

يا سيف علي بن أبي طالب

المطلع لم يكمل

من أين سأبدأ

آهٍ من خجلي :

تلك الأمة تنجب حيدر والحمزة والأبطال غزاة العالم هي تلك الأمة تنجب عمرو بن العاص وأشباه الحجاج قالوا : لن تهدأ حرب حتى تتساوى كل الأطراف

منكم مبعوث الله ومنا الشيخ أبو سفيان

علي منكم فمعاوية الملك العادل منا وحسين منكم فيزيد منا

كن شيطاناً مثلي أصبح إنساناً مثلك

ما يحضر بالحق سيقضى بالفتنة

الشيطان يساومني :

اعطيك أبا جهل وأبا لهب

بادلني والقسمة ضيزى أثنين بواحد

أمنحني بدل الاثنين اباذر أسحقه في الصحراء

أسجد لي أسجد لك

لكن الصحراء على سعةٍ ضاقت بأبي ذر

فالعالم غير مجراه وأبو ذر ما بدل تبديلاً تقواه

آن لهذي الأمة أن تخرج من كذبتها

آن لهذي الريح المسمومة أن تكشف عن صفرتها
آن لكل مسافات الحقد بأن تطوى
فأنا مازلت أحاصر
أبحث عن صف لا صفين لأخرج منتصراً من معركتي الكبرى[1]

الشاعر في هذه القصيدة يثير تساؤلات عدة فنراه يسأل في مقدمة القصيدة (عماذا أكتب) وكأنه في حيرةٍ من أمره ، لكنه ورغم هذا نراه يبدي موقفاً حازماً من عدة قضايا معاصرة في المجتمع ، يكاد يحصرها (الخير والشر والحق والباطل ، الفضيلة والرذيلة والمكر والحيلة) ، ومعاني أخرى نراه يرمز لها أحياناً بكلماتٍ معينة تعطي إيماءات لشخصيات لها ثقلها ومكانتها في الماضي والحاضر، بغض النظر عن المسميات.

لكنها تمثل صراعاً أبدياً بين الحق والباطل ، لقد أراد الشاعر أن يربط ماضي الأمة بحاضرها ومستقبلها من خلال استحضاره شخصيات تاريخية كان لها بصمة في ماضي الأمة سواء كان هذا الماضي خيّراً وفاضلاً شريراً أو رذيلاً ، فنراه وظف شخصيات آل بيت النبوة (علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي – ع–) بأنها رمز للنضال والحق والخير والطريق الصحيح الذي لا اعوجاج فيه في الأمة ، يقابلها شخصيات تركت بصماتها السوداء في تاريخ الأمة (أبو سفيان ، معاوية ، يزيد ، عمرو بن العاص ، أبو جهل ، أبو لهب ، الحجاج) .

ان استحضار الماضي كان له بعداً وأثراً في الحاضر فالشاعر يجد ان هذه الشخصيات التي ذكرناها بشقيها الحق والباطل لازالت امتداداتها موجودة فهو يعاني من يزيد ومعاوية .... لكن بشخصيات معاصرة تعبث بمقدرات الأمة وهو يتمنى أن يأتي حسين جديد يخلص الأمة من آثامها وظلاّمها لينشر الحق والعدل وينتقم من الظالمين المتكبرين .

أن قصي الشيخ عسكر يربط الماضي بالحاضر بطريقة تعبر عن الإجادة في وحدة الموضوع في الشعر ، بحيث ربط أبيات القصيدة بعضها بالبعض الآخر من ناحية اللفظ والشكل والمضمون بطريقة سلسلة بسيطة غير معقدة فمن يقرأ القصيدة سيتبادر الى ذهنه مغزى الشاعر وهدفه منها .

(1) رحلة الشمس والقمر : 101–102 .

ونراه يقول في قصيدة أخرى :

لم يكن للزمان غير حطام وشظايا تذوب بعد احتراق
أبت الذكريات أسر خيال فتخطى يجوس في أعماقي
عذبة كانت الأماني وأنقى نبعها أن يكون حر اشتياقي
وربيع الحياة غنوة حبّ تتهادى بلـحني الخلاقِ
قد تضيق السماء بالهم لكن في ضلوعي له فسيح انطلاق
وحديد القضاء أنكى وأعتى من رقاب تطلعت لإنعتاق
كلما لاح في الخطوب توان تتعرى صغارها لاستباق
فلعل الحياة محض افتراق ربّ موت أشدّ منه التلاقي
هو يوم يمر لاتلتقـيه كابتهاج الضياء بالأحداق
في فمي للسكوت لذة شهد وأحس الكـلام مر المذاق
لي فؤاد بالحب بات خفوقاً وتدور السموم في أعراقي
ولعل الذبول دورة خلق كدبيب الخريف بالأوراق
وسيفنى المدى ولست بفانٍ ودليل الأفلاك نجمي باقِ
ماتبقى من العوالم ملكي وسواها الجدير بالأحراقِ
إن يطل بالحياة ليل عبوس فقريباً بوادر الأشراقِ[1]

فالشاعر يبدأ القصيدة نافياً ، وبسبب تفضيله للصمت والسكون في مختلف جوانب الحياة التي يعيشها ، أدى بالنهاية أن الزمن قد توقف ولم يبق منه الاّ الحطام ، أي بمعنى أدق لم يكن لدى الشاعر أحلام وأماني وذكريات جميلة ، بل أننا نجد مفردات قصيدة الشاعر تدور في نفس مدارها ، مدار الذبول والهموم والموت والشظايا المحترقة ، ولذلك نراه قد أبدع في صياغة المفردات الشعرية لأنها لازالت تخرج من نفس المضمون الذي يبدو وقد أصبح عنواناً يميزه عن بقية الشعراء ، فهو يستحق أن قول بحقهِ شاعر الهموم والأحزان التي هي حقيقة واقعه .

(1) رحلة الشمس والقمر : 90-91 .

أن الشاعر قد أبدع في الشكل فقصيدته تشبه البيت الجميل من حيث المظهر الخارجي أي بمعنى من ناحية الشكل ، صياغة المفردات ، الوزن ، القافية ، الترتيب .

لكن مضمون هذا البيت في داخل الشاعر عليه أكثر من علامة استفهام . فقد أجاد في وحدة الموضوع ، بحيث أننا نجد القصيدة من بدايتها الى خاتمتها تسير وفق منهج مترابط الأجزاء والأفكار وفي تأدية المعنى المطلوب الذي ينعكس تأثيره على القاريء (المتلقي) ، وكأنه يعيش عالم الشاعر ويحس به ويتأثر بكل ماتعاني من حزن وألم ووحده وعزلة وغربة.

خاتمة القصائد :

تمتاز خاتمة القصائد في شعره بميزتين أسوة بغيره من الشعراء ، الأولى عودة خاتمة القصيدة على بدايتها مؤكداً في ذلك على البناء المحكم للهدف المرسوم من قبله حسب ما تقتضيه التجربة الشعرية ، أما الميزة الثانية فتركه النص مفتوحاً دون خاتمة مشيراً بعلاقة الحذف دليلاً عليها والتي أصبحت اليوم من التقنيات الحديثة ، والتي يستخدمها الشعراء المحدثون ، مشيراً بذلك إلى غياب الكلام ، والذي يعد "ملمحاً شكلياً بارزاً في القصيدة الحديثة ، فقد وجد الشعراء في هذه المساحات الفارغة التي تتخذ من الصمت لغةً جديدة ووسيلة شعرية ناجحة للتعبير عما تعجز اللغة عن الإفصاح عنه " [1].

فعلى الميزة الأولى نذكر مثالاً :

متعبةً في البحر وألقتني
كالحزن بعينك غريباً
ووحيداً
أذكر كالمزنة شوقاً
يخرج عن أبعادي
أنسى قدري[2]

هذه الخاتمة جاءت متصلة مع بداية القصيدة التي يقول فيها :

صمتك يا فاتنتي

---

(1) شعرية الأنزياح : دراسة في تجربة محمد علي شمسالدين الشعرية ، أميمة عبد السلام الرواشدة ، أمانة عمان الكبرى، 2004 م :265 .

(2) عبير المرايا : 79-80 .

علمني
أن أصرع وحدي الأبعاد
وألم العطر بعيداً عن قدري
ثم أجوب الأحزان
بالعطر ، تقيدت وراء الأحزان

فالوحدة ، والحزن ، والهروب من القدر الذي ذكره الشاعر في بداية القصيدة أصبح طريقاً في رحلته ورفيقاً مجبراً على مصاحبته في نهاية القصيدة ، وبهذه الرؤى يقنعنا الشاعر باكتفاء الدلالة التي نبحث عنها في النص الشعري ، وكأننا نشعربهاغدت قفلاً وخاتمة لبداية القصيدة .

أما القصائد التي نجدها لا تحمل خاتمة فمنها قوله :

حدثني العطر حديث القلب فقال:
النور تلكأ في زمنٍ عيناه سياط
فغفا الشوق ، وغادرت الألوان لكهف الحقد
لم يبق سوى عينين تلما الظلمة من بعد
لحظتها
ما كدت ترى كل الأبواب امتزجت
فطغى الحب
وغدا
..... (1)

(1) رحلة الشمس والقمر : 33 .

وهكذا تبدو علامة الحذف (النقاط) واضحة جلية تفتح للمتلقي مساحة واسعة للقراءة والتفكر والتمتع .

ويقول في نص آخر :

تتكدس حولي اللحظات
أجمعها
ماذا يمكن أن أعمل منها
أرسم لحناً
لا يسمعه غيري
أكتب شعراً لا يفهم
والحيرة تكسو عيني
وتطبع وجهي فوق الأعين
لم تصبر آخر لحظة
كانت تتهاوى فوق جدار
الروح
فأكاد أصيح
..... (1)

فهكذا نلحظ كيف أن الشاعر يترك النص مفتوحاً دون خاتمة ليجعل القارئ يتفكر ويتأمل ويستمتع في قراءة النص ، ولربما يثار سؤال لماذا يترك الشاعر النص مفتوح من دون خاتمة ؟

يمكننا القول إن الشاعر في بعض نصوصه الشعرية نراه يترك النص مفتوحاً لأنه يكون مضطراً لأن يجعل النص مفتوحاً ، يريد من القارئ أن يكتشف سر هذا العمل ، الشاعر يكون مجبراً خوفاً من السلطة الحاكمة ، لحكمةٍ منه يترك النص من دون خاتمة وهذا ما نراه في شعر قصي الشيخ عسكر .

(1) رحلة الشمس والقمر : 59 .

بحيث يجعل القارئ يتأمل عند قراءة الشعر ويأخذه من عالم إلى عالم ، وهذا إن دل فإنما يدل على جهد كبير ومتقن.

الخاتمة

في نهاية البحث توصلنا الى نتائج منها مايتعلق بمضامين الشعر ، ومنها مايتعلق بالدراسة الفنية ، فأما مايتعلق بالمضامين ، فقد كشف البحث عن ان المضامين تتألف من (الغربة والحنين ، الرثاء ، وأنسنة الطبيعة ، وظاهرة الصمت) وكان مضمون الغربة والحنين من أكثرها ظهوراً في شعره ، في حين كانت المضامين الأخرى أمتداداً لهذا المضمون.

أما النتائج الخاصة بالجانب الفني فكانت واضحة في شعر الشاعر – موضوع الدراسة – كونتها (اللغة و الصورة والموسيقى والبناء) ، فقد اعتنى الشاعر بلغته فصقلها وهذبها بحيث جعلها بسيطة سلسلة غير غامضة ولا معقدة وكانت الفاظ (الحزن، الصمت) الركن الأساسي في تكوين معجمه الشعري .

وكانت البيئة بما تحمل من تفرعات ذات أثر واضح على لغته وتكوين معجمه . وهذا مابينه البحث في دراسته لمبحث اللغة الشعرية .

كما أوضح البحث الظواهر اللغوية الأخرى ومدى ارتباطها بمعجمه الشعري كـ(انتشار الجملة الفعلية بكثافة في شعره) ومالها من دلالات ، فضلاً عن الجملة الأسمية ، وكذلك الكشف عن الأساليب الأخرى كـ (أسلوب الأستفهام والنفي والنداء ..) ودلالة هذه الأساليب في النص الشعري ، وهذا غير مختص بشاعرنا ، غير أننا رأيناه واضحاً جداً في شعره ، مما أثار انتباهنا فعمدنا لدراسته كمؤثر من مؤثرات تكوين المعجم الشعري ، كما توقف البحث عند الصورة في شعر قصي الشيخ عسكر . مختاراً نموذجين من الصورة الشعرية هما الثابتة والمتحركة .وكانت الصورة المتحركة أكثر بروزاً في شعره وذلك بسبب اغترابه وتنقله من بلد لآخر وعدم الاستقرار مما جعل كل هذا ينعكس على شعره فبرزت معالم الحركة واضحة فيه . وربما ارتبط ذلك بنفسية الشاعر وطموحها من جهة وقلقها واضطرابها من جهة أخرى .

وقام الباحث بدراسة الموسيقى الخارجية (الوزن ، القافية) ، متوقفاً عند الوزن ليبين أبرز البحور التي أعتمدها الشاعر .

ثم بين البحث أن القافية انشطرت في شعره في شعر قصي الشيخ عسكر الى قافية (موحدة) وقافية (متداخلة) والتي جاءت قليلة في شعره.

كذلك توقف البحث عند الموسيقى الداخلية موضحاً الأساليب المعتمدة في اغناء وإثراء موسيقى الشاعر الداخلية كأسلوب (التكرار) ومالعبه هذا الأسلوب من غنى للموسيقى الداخلية وكذلك استخدام فنون بلاغية كـ (الجناس ، والطباق) وما لهما من تأثير فني وتأسيسي للموسيقى الداخلية ، والتي تعد من إحدى الأسس المهمة في النص الشعري .

وانتهى البحث عند البناء ليكشف عناصر هذا البناء في القصيدة مبتدأ بالعناوين وماشكلته من تداخل مع المتن الشعري وكيف انها كانت الدليل الى النص ومفتاحه الأول، بما تحمل من معنى وإشارة للنص الشعري ، ومن ثم التوقف عند المستهلات ، لذا أطلقنا عدة مسميات على أبرز المستهلات التي جاءت واضحة في شعره .

ثم كشف البحث عن الوحدة العضوية التي انمازت بها الكثير من قصائده العمودية والنثرية ، ليصل الى المدلولات النفسية الخاصة بالمنشيء . وأخيراً كشف البحث عن خاتمة القصائد وكيف أن القصائد جاءت تحمل خاتمة انمازت بعودتها على مستهل القصيدة ، وخاتمة غير مغلقة مفتوحة .

والخلاصة ان مجاميع الشاعر قصي الشيخ عسكر انمازت بمضامين ورؤى وأفكار أمدت القاريء بتمتع ذوقي ، ساهم في تكوين الذائقة الشعرية للنصوص .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين .

القرآن الكريم

أولاً : المجاميع الشعرية :

1-رؤية ، المجموعة الأولى ، ط1، دمشق ، 1983م .
2-صيف العطور الخرساء ، المجموعة الثانية ، ط1 ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، 1985م .
3-عبير المرايا ، المجموعة الثالثة ، ط1 ، دمشق ، 1993م .
4-رحلة الشمس والقمر ، المجموعة الرابعة ، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2002م .
5-ترنيمة من زمن التكوين ، المجموعة الخامسة ، مخطوطة .

ثانياً : المصادر والمراجع :

1-أساس البلاغة ، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمد بن عمران (ت 538) دار الصادر ، ط1 ، بيروت ، 1979 م .
2-أدب الغرباء ، أبي الفرج الإصفهاني ، تحقيق ، د. صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، (د – ت) .
3-إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، بغداد ، 1986 م .
4-أنسنة الشعر ، مدخل إلى حداثة أخرى ، فوزي كريم أنموذجاً ، حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 2006 م .
5-أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 ، القاهرة ، 1973 م .
6-أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد بدوي ، مطبعة نهضة مصر ، ط1 ، القاهرة، 1958م .
7-الأدب الجاهلي – قضاياه ، أغراضه ، أعلامه فنونه ، د. غازي طليحات وعرفان الأشقر ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ،ودار الفكر المعاصر ط1 ، بيروت 2002م .

8- الأدب العربي ، عناد غزوان ، د. نوري حمودي القيسي ، و د. فائق مخلص ، مطبعة وزارة التربية ، ط2 ، بغداد ، 1968م .

9-الأدب العربي في الأندلس ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1976م.

10-الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1 ، بغداد 1993 م .

11-الإنسان والحضارة ، يوسف الحوراني ، مطبعة الحياة ، بيروت لبنان (د . ت)

12-بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال – الدار البيضاء ، 1986م .

13-البنية الأيقاعية في شعر حميد سعيد ، حسن الغرفي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، بغداد ، 1989م.

14-تاريخ الأدب العربي في الأندلس ابراهيم علي أبو الخشب ، دار الفكر العربي ، ط1، مصر ، 1966م .

15-تشريح النص ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، المغرب ، 2006م.

16-التجربة الخلاقة ، س – م بورا ، ط3، منشورات وزارة الاعلام، العراق ، 1977م.

17- التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت (د- ت) .

18- التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، مجاهد مصطفى بهجت ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد سلسلة الكتب الحديثة ، ط1 ، 1983م .

19 – ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب (الموسوعة الصغيرة) ع(396) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1995م .

20- جماليات المكان ، جاستون باشلار ، ترجمة غالب هيلسا ، كتاب الاقلام (1) دار الحرية للطباعة ، 1980م.

21 – حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، عبد الحكيم بلبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980م .

22- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د. ماهر حسن فهمي ، معهد الدراسات والبحوث العربية – القاهرة – 1975م.

23- الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، علي حسين الجابري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 1985م.

24- الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، مصطفى عبد اللطيف جياووك ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1977م .

25- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر الحموي ، تحقيق عصام شيخو ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ،1987م .

26- خطاب الأبداع الجوهر – المتحرك – الجمالي ، محمد الجزائري ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993م.

27- الخطاب في الشعر ، محمد منال عبد اللطيف ، ط1 ، دارالبركة ، عمان ، 2003م.

28- دراسات بلاغية ونقدية ،د. أحمد مطلوب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1980م .

29- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ط5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2004م.

30 – دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د. محسن اطيمش ، وزارة الثقافة والأعلام ، دار الرشيد للنشر ، 1982م.

31- دينامية النص ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، بيروت ، 1990م.

32- رسائل الجاحظ ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق ، عبد السلام محمد هرون ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1964م .

33- الرثاء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، بشرى الخطيب ، مطبعة الإدارة المحلية بغداد ، 1979م .

34- الرثاء سلسلة فنون الأدب العربي ، بأشراف : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،1955م.

35- زمن الشعر ، أدونيس – علي أحمد سعيد ، بيروت ، ط3، 1983م

36- سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى ، نازك الملائكة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993م.

37- الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر، ط3، 1977م.
38- شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل ، مطبعة مصر ، ط1، 1945م .
39- الشعر واللغة ، د. لطفي عبد البديع ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1969م.
40- شعر محمد حسين ال ياسين ، دراسة موضوعية وفنية ، صاحب رشيد موسى ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001م .
41- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين اسماعيل ، ط3، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت 1981م .
42- الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، مزهر السوداني دار الرشيد للنشر ، 1980م .
43- شعر التفعيلة والتراث ، نعمان القاضي ، دار الثقافة والنشر القاهرة ، 1977م .
44- شعرية الأنزياح ، دراسة في تجربة محمد علي شمس الدين الشعرية ، أميمة عبد السلام الرواشدة ، أمانة عمان الكبرى ، 2004م.
45- صحيح الترمذي ، شرح ابي بكر المالكي ، مطبعة الصاوي ، ط1 ، 1934م .
46- صحيح مسلم ، الجامع الصحيح ، الامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار الفكر ، ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
47- الصورة في شعر الأخطل الصغير ، أحمد مطلوب ، دار الفكر ، عمان ،1985م.
48- الصورة الشعرية حتى آخر القرن الثاني الهجري – دراسة في اصولها وتطورها ، د . علي البطل ، ط2 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1982م .
49- الصورة الفنية في المثل القرآني ، دراسة نقدية بلاغية ، د . محمد حسين علي الصغير ، (د . ت) .
50- صناعة الأدب بعض مباديء النقد في ضوء نظريات النقد القديمة والحديثة ، د. اسكوت جيمس ، دار الشؤون العامة ، بغداد ، 1968 م .
51- ضرورة الفن،أرنست فيشر، ترجمة أسعد حليم ، المطبعة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1971م .

52- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي ، دار الارشاد ، بيروت ، 1960م .

53- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ) ، شرح أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، 1952م.

54- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل – بيروت ، 1972م ، وط2 ، مصر ، 1963م.

55- الغربة في الشعر الجاهلي ، عبد الرزاق الخشروم، دار الأضواء للطباعة ، دمشق ، 1982م .

56- فضاء البيت الشعري ، عبد الجبار داود البصري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1996م .

57- في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي ، ط3، دار المعارف ، القاهرة 1960م .

58- فن التقطيع الشعري ، صفاء خلوصي ، ط3 ، بيروت ، 1966م .

59- فن الشعر ، هيجل ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان (د.ت) .

60- قضايا الفن الأبداعي عند دستوفسكي تأليف : م- ن باختين ، ترجمة / جميل نصيف التكريتي ، مراجعة : د. حياة شرارة (د .ت) .

61- قضايا حول الشعر ، عبدة بدوي ، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، بيروت ، 1968م.

62- قضايا اندلسية ، بدير متولي ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1964م.

63 - قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، ط2، بغداد ، 1965.

64- كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر ، ابي هلال العسكري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986م.

65-لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد(2) ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط1، بيروت ، 1990م.

66-لسان العرب ، ابن منظور ت(711) هـ ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، أعاد تصنيفه على الكلمة والحرف يوسف خياط ونديم مرعشي – بيروت،1956م.

67- لغة الشعر العربي الحديث – مقوماتها الفنية – وطاقاتها الإبداعية – د. السعيد الورقي ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، الأسكندرية ، ط1 1999م .

68- لغة الشعرعند الجواهري ، علي ناصر غالب ، كتاب طبع في بابل ، 2005م.

69-اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993م .

70-لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، دار القلم ، ط1 ، بيروت ، 1982م .

71-المشاكلة والاختلاف ، الغذامي ، الدكتور عبد الله محمد المركز الثقافي العربي ، 1994م.

72- المحاسن والاضداد ، الجاحظ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1324هـ .

73- المحاسن والمساوئ ، البيهقي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، 1961م .

74- مطالع البدور في منازل السرور ، الغزولي – علاء الدين بن عبد الله البهائي ، مطبعة إدارة الوطن ، ط1 ، 1299م .

75-المعجم الوسيط ، تأليف د. ابراهيم مدكور ، ج2/1، دار الدعوة للطباعة والنشر، استانبول ، تركيا .

76- معجم المقاييس هي اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس ت(395)هـ تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1994م .

77- معجم المقاييس هي اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس ت(395)هـ تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1994م .

78- معجم البلاغة العربية ، د- بدوي طباعة ، المجلد الأول ، ط1 ، منشورات جامعة طرابلس ، 1975م .

79- مقالات في الأناسة ، شتراوس – كلود ليفي ، أختارها ونقلها إلى العربية ، د- حسن قبيسي ، بيروت ، 1983م .

79- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجذوب دار الفكر ، ط2 ، بيروت ، 1977 م .
80- مفاهيم في الأدب والنقد ، حكمت علي الأوسي ، القاهرة ط1 ، 1967م .
81- مفهوم الشعر – دراسة في التراث النقدي ، جابر أحمد عصفور ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، 1982م .
82- مقدمة في النقد الأدبي ،تأليف د. علي جواد الطاهر .
83- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، دار القلم ، ط5 ، بيروت ، 1972م .
84- ملحمة جلجامش ، باقر – طه ، منشورات وزارة الأعلام الجمهورية العراقية ، 1975م .
85- مستقبل الشعر وقضايا نقدية في تاريخها ، د. عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية العامّة ، ط1 ، بغداد ، 1990 م .
86- مع البلاغة العربية في تاريخها ، محمد علي سلطاني ، ق1 ، ط1 ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، 1987 م – 1979م .
87- النقد الموضوعي ، سمير سرحان ، دار الشؤون الثقافية العامّة بغداد ، ط2 ، 1990م
88- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق كامل مصطفى ، دار النهضة العربية للطباعة، ط2 ، 19781م .
89- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ، 1973م .
90- وليم شكسبير – الإنسان المتوحد ، جانيت ديلون ، ترجمة جبرا إبراهيم جيرا ، طبع في مطابع دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1986م .
91- وهج العنقاء – دراسة فنية في شعر خليل خوري ، ثامر ، خلف السوداني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، بغداد ، 2001م .
92- وهم الحدس – الشعر في عصر العلم ، د. مالك يوسف المطلبي (الموسوعة الصغيرة) دار الشؤون الثقافية العامّة ، بغداد ، 2003م .

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

1- الاغتراب في شعر نازك الملائكة ، ساجدة عبد الكريم خلف التميمي ، (أطروحة دكتوراه)- كلية التربية ، جامعة بغداد ، 2006 م .

2- بلند الحيدري شاعراً ، نازه نين علي محمد ، (رسالة ماجستير) كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، 1989 م .

3- شعر الجواهري ، (دراسة موضوعية وفنية) ، أناهيد ناجي فيصل، (رسالة ماجستير) كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2005 م .

4- شعر مجيد الموسوي – دراسة في المضامين والبنى الجمالية ، هيثم كاظم صالح (رسالة ماجستير) ، كلية التربية ، جامعة البصرة 2008 .

5- شعر رشدي العامل ، دراسة تحليلية فنية ، صدام فهد الأسدي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 1995 م .

6- شعر نازك الملائكة ، دراسة إيقاعية ، عبد الرحيم مردان رحيم شاهين (رسالة ماجستير) كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2002 م .

7- الصورة الشعرية عند عبد الرزاق عبد الواحد ، خضير عباس درويش ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 2001 م .

8- الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام ، صاحب خليل إبراهيم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة 1988 م .

9- لغة الشعر عند الفرزدق ، رحمن غركان ، رسالة ماجستير ، مطبوعة على الآلة الكاتبة – جامعة الكوفة ، النجف الاشرف ، 1995 م .

10- القصيدة القصيرة في الشعر العراقي في المعاصر – الحر – (دراسة موضعية وفنية) إيناس عبد الرحيم رمضان الحميري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2002 م .

11- قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث ، ضياء راضي الثامري ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 1991 م .

رابعاً : الدوريات :

1- الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً ، أحمد مشاري العدواني ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الأول ، طبعة وزارة الاعلام ، الكويت ، 1979م .

2- أنماط الصورة الفنية في شعر أحمد المعطي حجازي ، محمد صابر عبيد ، مجلة الأقلام ، ع (9) ، أيلول ، 1989 م .

3- أنسنة الطبيعة الجامدة في شعر قصي الشيخ عسكر ، مقال نشر في الانترنت الدكتور صدام فهد الأسدي ، موقع (الناس ، المثقف) ، 2008 م .

4- عندما يصبح الوطن ضباباً – دراسة نقدية في شعر (قصي الشيخ عسكر) مقال نشر على شبكة الانترنيت – موقع الناس ، الدكتور صدام فهد الأسدي ، 2008.

5- الحزن وثنائية السواد والبياض في شعر عبد الرزاق حسين ، دراسة موضوعاتية، الدكتور فهد محسن فرحان ، زغب الطيور الهاربة – حسين عبد اللطيف / جريدة المنارة ، العدد (94) ، 2004 م .

6- ديوان (رؤية الارتقاء بالصورة) د. هدى الصحناوي – مقال نشر في جريدة الثقافة الأسبوعية ، العدد 13 ، السنة التاسعة والعشرون ، دمشق ، 1987.

7- الصورة الشعرية النواسية في النقد العربي القديم ، د. قصي سالم علوان مجلة الأقلام ، العدد (11) ، 1980 م .

8- الصمت في مسرحية أبناء منهارون ، أدوار توماس ، نص آدم جادر سكي ، ترجمة : صلاح السعيد ، نشرت في مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد (4) ، 2004م.

9- ظاهرة الحزن في شعرنا الحديث ، د. عز الدين إسماعيل ، مجلة الشعر للثقافة والإرشاد القومي ، العدد (16) ، 1965 م .

10- قصي الشيخ عسكر : قراءة في ديوان رؤية ، د. عيسى فتوح ، جريد البعث السورية ، العدد (8372) ، 1990 م .

11- الوجودية ، عالم الفكر ، العدد (58) ، أكتوبر ، 1982 م .

خامساً : الأتصالات :

1- الصـمت دلالاتـه وأبعـاده – مكالمـة هاتفيـة أجراهـا الباحـث مـع الشـاعر فـي 2009/4/25 .

Abstract

The poet (Gusai Sheik Asker) occupied a large space in the literary and critical studies in the Arab homeland and overseas. This space which extended from Iraq to Syria and Lebanon passing in Cairo and ending in the capitals of European countries Paris , London ,…

He is a great poet of those poets overseas . At the same time , he is a literary man of Basrah , he has many novels , collections of stories and a lot of writings in thought and culture . He also has many critical studies . Many critics , writers and poets wrote about him and about his poetical products in the Arab homeland in general and in Iraq in particular .

His poetry in distinguished for its objectivity ,modern ness and originality . He was the contemporary of a lot of poets and authors . He was also contemporary of the pioneers such as the great poet (AL – Jawahry) who was a close relationship with his family and (Mahmoud abd Al- Wahab) the novelist , and other great poets sush as (Bilnd Al- Haidary , Lamia Abbass Amarah m and Mustafa Jamal Al-Deen) and the great autor (Gada Al-Saman) who wrote a lot of articles and researches about him and his poetry in addition to other Arab writers .

The poet deservers the study as his poems include many contents so it is an objective and artistical study in his poetry . I've divided the study in two parts m as the title includes this (objective and artistical study) .

The first part includes an objectives study in his poetry , it is divided into two chapters m every chapter includes two topics , the first deals with (the phenomenon of being a stranger and Longing) . The other topic deals with (The phenomenon of Elegy) .

The Second chapter includes the study of (The phenomenon of Nature Humanity) in its first topic , whereas , the second topic deals with (The phenomenon of Silence).

The poet spent thirty six years away from his home and country and we can see the effect of this in his verse .

The second chapter includes in its first topic a study in (the music of poetry) including the rhyme and music, and the interior music .

The Second topic deals with (The building of a poem) including the titles of poems, organic unity and epilogue) .

POERTY OF - QUSIAI SHEIK ASKER

OBJJECTIVE AND ARTISTICAL STUDY

A thesis Submitted by

KHALDON KADHUM HASHIM AL-MUSAWY

To the Council of College of Education
University of Basrah
As part of the requirements of obtaining
M.A- in Arabic language and its literature

Supervised by

Dr. SADDAM FAHAD AL- ASDY

Basrah
2009